

المِثْلُ فِي الْقِيَامَةِ

عباس محمود العقاد



www.nahdetmist.com

الإسلام حضارة تغني عنها ، بل جاءت آداب الحضارات المستحضرة على نقص ملهى في أحكامها ومبادئها ، لأنها أخرجت من صابها حالات لا تعط ولا يذكر لشكلاتها ، أفضل من طها في القرآن الكريم ، إذا انتقل بها الحديث من الإهمال إلى الدراسة والتقدير

أما المعاملة التي حددها القرآن وتذب لها في دين والمؤلفات ، هي المعاملة « الإنسانية » التي تقوم على العدل والإنسان ، لأنها تقوم على تقدير غير تقدير القوة والضعف ، أو تقدير الاستطاعة والأكراه وفي المفردات التالية تفصيل لهذا الإيجاز : مداره على جلاء وجوه المطابقة التامة بين أحكام الكتاب الكريم وأحكام واقع والخلق والمصالح الإنسانية ..

عباس محمود العقاد

الفصل الأول

للرجال عليهن درجة

الإنسان جنس : مما جنس الرجال ونس النساء .
والجنس سواء : ولكن للرجال على النساء درجة :
قال تعالى : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف . وللرجال عليهن درجة ، والله عزيز حكيم »

سورة البقرة ٢٢٨

وقال عز من قائل : « ولا تتموا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا ، والنساء نصيب مما اكتسبن وأسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما »

سورة النساء ٣٢

وبلى لك من أسورة نسبا :

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم »

سورة النساء ٣٤

والقومة هنا مستحقة بتفصيل الفطرة ، ثم بما فرض على الرجال من واجب الإنفاق على المرأة ، وهو واجب مرجعه إلى واجب الأفضل لمن هو بونه فضلا . وليس مرجعه إلى مجرد إنسان المال ، وإلا لاحتج الفضل إذا ملك أدنى مالا ، يعنيها عن نفقة الرجل أو يمكنها من الإنفاق عليه .
وحكم قرآن الكريم بتفضيل الرجل على المرأة هو الحكم البين من تاريخ بني آدم ، منذ كانوا قبل نشوء الحضارات والفرائض المعاصرة وبعد نشوئها ..

ففي كل أمة ، وفي كل عصر ، تختلف المرأة والرجل في الكفاية والقدرة على جملة الأعمال الإنسانية : ومنها أعمال قامت بها المرأة طويلا ، أو انفرجت بالقيام بها دون الرجال

ومن تصور الفكر عند الداعي إلى قيام المرأة بجميع أعمال الرجل في الحياة العامة وخاصة أن يقال : إن المرأة إنما تخلقت في الكفاية والقدره بعمل الرجل ونشبة لأثرته واستبداده وتسخيره المرأة في خدمة مطالبه وأهوائه ..

فإن هذا القول يثبت رجس الرجل ولا يفيده . فما كان للرجل ، جنة . أن يسفروا النساء جملة في جميع الأمور وجميع الأمم لو لا رجسهم عليهن ، وزيدتهم بالمزية التي يستطيع بها التسخير ، ولو كانت مزية القوة البتية دون غيرها .

ومما يلاحظ أن أكثر النشائي يدعو المرأة إلى القيام بعمل الرجل ، جملة الماديين الذين يردون كل قوة في الإنسان إلى قوة البدنية المادية ، فإذا قيل إن قوة البدن هي مزية الرجل على المرأة ، فليست هناك قوة أخرى تحسب في باب التماثل بين الجنسين

على أن الواقع أن الكلية التي تمكن الإنسان من طلبة على سائر الناس لم تكن تط من قبل القوة الجسدية دون سائر القوى الإنسانية ، وكثيراً ما كن المتقلبون المصلطون على من دونهم ، أضعف جسداً من الضعيفين لهم ، العاملين في خدمتهم . وكثيراً ما كانت قوة الحكم بمعزل عن قوة الأعضاء ، وملاحة التركيب . وأياً يكن القول في هذا فإن الجنس لا يمتاز في جملته بقوة البدن ، دون أن يرجع ذلك إلى فضل في التكوين يوجب الاعتياز والرجس

وإذا نظرنا إلى سوابق التسخير في تاريخ الإنسان ، تبين لنا أنه كن نميذ عام لجميع النساء الخاضعين للأسياد السلاطين عليهم ، وكان نصيبا عاد على الأقل لطوائف العبيد الذين خضعوا للأسياد والضعفاء ، من كانوا يسمون بالأحرار تمييزاً لهم عن الأرقاء المستعبدين ، وقد نبغ من هؤلاء الأرقاء المستعبدين زمرة من الأدباء وأصحاب الفنون . كما نبغ منهم « سادة » يراهمون الأمور على أعمال الرئاسة والقيادة وينتزعون الحكم وهم غرباء عن البلاد التي يحكمونها . وهم في عددهم ثلة ضئيلة ، بالقياس

إلى عدد النساء من الحرائر والإماء ، ومن نصف الجنس الإنساني أو يزيد قليلاً على ذلك .

ونفعل الرجال على النساء ظاهر في الأعمال التي انفردت بها المرأة ، وكان نصيبها منها أوقى وأقدم من نصيب الرجل . وليس هو بالفضل المتصور على الأعمال التي يمكن أن يقال إنها قد حبيت منها ، وحيل بينها وبين المرأة عابها . ومنها الطهي والتطريز والزينة وبيء الموني وملكة اللو والفكاهة التي قدت فيها السخرة بالتسخير ، عند كثير من الملتهدين أفراداً وجماعات

فالمرأة تستغل ما عداد لطعم منذ طبخ الفاني طعاماً قبل فجر التاريخ ، وتطعمه منذ طولتها في مساكن الأسرة والقبيلة . وتحب الطعم وتشتيه ، وتتطلب ضيافته وتوليه في أشهر الحمل خاصة . كما تتطلب الزود منه في أيام الرضاع ، ولكنها - بعد توارث هذه الصناعة آلاف السنين - لا تبلغ فيها مبلغ الرجل الذي يتسرع لها بضمع سواها ، ولا تجربه في إيجاد الأمشاط المعروفة ، ولا في ابتداع الأصناف والأقنات في تنويعها وتحسينها ، ولا تقدر على إدارة مطبخ يتعدد العاملون فيه من بنات جنسها أو من الرجال

وصناعة التطريز وعمل الملابس - كصناعة الطهي - من صناعات النساء القديمة في السوت ، ولكنها تموزل على الرجال في أزيائهما ، ولا تحول فيها على نفسها ، وتنفذ ما عهد « التجميل » التي يتولاها الرجال على المعاهد التي يتولاها بنات جنسها ، وكذلك تفعل مددهم على معاهد النساء في أعمال التجميل والزينة عامة . ومنها تصفيف الشعر وتزيينه واختيار الأنسكال المستحبة لتصفيره وتجميله . وقد عيب المرأة بالوان الطلاء منذ عرفت الزينة والتعليق الصناعية ، ولكنها لم تحصن من هذه الصناعة ما أحصد الرجل في سواها تصار ، حين لشغل بتغيير الملامح لتجميل الأدوار على المسرح ، أو حين الشغل بتغيير الملامح لتلنكر والاستطلاع ، وقد كان

هذه التفوق في صفاة « التنكر » أولى بالمرأة لطول عهدها بمنون الحضارة والحنان

وتنوح المرأة على موتها ، وتتخذ التوايح على الموتى صناعة لها في غير مآتمها ، ولم تؤثر عن النساء قط في لغة من اللغات مراثاة تضوع المراسي التي نظمها الرجال ، ولا تظهر في « مراثين » مسممة شخصية قترنهم عن النفس وراء الكلمات والسوددات المتواترة التي تتقال في كل مآتم ، وفي كل وفاة وتنتقل محفوظة كمن تنقل مرتجلة من نظم نائلتها في فجيئتها التي تنفيها ولا تسمى غيرها ، كأنها الأصوات التي تنترج من عزاء الأحياء على نحو واحد في الحزن والألم أو في التوق والحنين .

والملامى - ولا سيما ملامى الرقص والخف - من صروب التسمية التي يتسم لها وقت المرأة في القدر ، وفي البيوت التي لا تصب من الحذر ، وقد شجعها الرجل عليها وجعلها من فنون الترويسة النسوية التي تروثهم منها ولكن لأستاذية في رقص الفرد وفي رقص الجنين ، لم تكن من حظ المرأة في عصر الحديث ولا في العصور القديمة . ولم يزل عمل المرأة في الرقص أقسب إلى التنفيذ منه إلى الابتكار والابتداء ومن النهو الذي كان خليقا بالمرأة أن تحذره وتتوق فيه على الرجل ، لها الفكاهة والنكتة المنكة . لأنها يجب أن تفرح وتضرب ، ولأنها تسمع بلحظ وبالعاجلة إلى التنفيس عن الشعور المكبوح ، وقد عرف من مبادئ النفس البشرية أن ضحايا الضغط والاستعداد يلجأون إلى أسر لرد غوائل الظلم التي لا يقدر على ردها بالقوة ، وإن المتعربين لضربات الضموم والإذعان يفسون هي « التمرد » المزاج حيث لا يتاح لهم أن يفضوه بالجهد والمقاومة ، ولكن المسود في المرأة أنها قليلة النكتة ، إلا في القدرة التي تصب من الفلقات العارضة ، وأنها لا تحسن أن تعيد نكت الرجال بطلها مع كثرة النكات التي تصيبها في أنوثتها ، فدا عن سبقها لهم وأمتيزها في هذا الباب عليهم ، لأنها خليفة أن تنح من ضغط الاستعداد ما لا يحسنه جمهرة الرجال .

وليس بالمجهول أن النساء قد نجمن من قبل ، وبينهن الآن في طائفة من الأعمال التي يقطع بها الرجال ، وقد اشتر منهن المالكات وقائدات السكر ، وشهر منهن لباحثات والخطيبات كما اشهر منهن الصالحات المعازات في تسكون الدين والدنيا ، وشملت الفضائل والأخلاق ، وقد تكون منهن من تنوق جمهرة الرجال في بعض هذه الأعمال . ولكن فضائل الأجناس لا تقاس بالتنميب المشترك ، بل تقاس بالنسبة التي لا تدرك ، ولا تؤخذ بالاستثناء الذي يأتي عن حين إلى حين ، بل بالقاعدة التي تعم وتشمع بين جملة الأفراد . وقد يوجد بين الصبيان من هو أقدر على أعمال الرجال ، بل قد توجد في أثناء الليل ساعة لضرب من بعض ساعات أنهار ، وإنما تجري الموازنة على الغايات القصوى ، وعلى الأغلب الأعم في جميع الأحوال . وما عدا ذلك فهو الاستثناء الذي لا يسهل منه في كل تعميم

وعلى هذا يمكن أن يقال إن « الاستثناء » يهمل في أطواره دلالة القادة التي يخالها ، ولا يخلو من ناحية تعزز القاعدة العامة ولا تقفها إن سم السيدة « طوي كوري » أو الأسماء التي يفكرها النشائون بالمحاواة النامة بين الجنسين ، ولو مسح أن هذه السيدة تضارع علماء الطبقة الأولى من الرجال لما كان في هذا الاستثناء النادر ما ينبغي أن يستثناء نادر ، وإن القاعدة السليمة بالقية لم تنقض ولا ينقضها تكرار مثله من حين إلى حين

إلا أن الواقع أن حالة هذه السيدة خاصة بعيدة من أن تصب بين حالات الاستثناء في مباحث العلم أو في البحوث العقلية على الإجمال . لأنها لم تصل مستقلة عن زوجها ، ولم يكن علمها من هيبيل اختراع والابتداء ، وإنما كان كله من هيبيل الكلف والتعقب . قالت هيبيل « أيف » في ترجمتها : « إن نصيحة يسير كن لها في هذه المرحلة الدقيقة شأن لا يعض عنه ، فإنما كانت الفتاة تنظر إلى زوجها نظرة استمعية إلى معنمه . إذ كن أقدم متبسا دراسة لطوم الطبيعية ، وأطول منها خبره ودراية ، وقد كن هذا ذلك رئيسها بل مستخدمها . غير أنها بمزاجها

وطبيعتها قد كن لها ولا شك اتصالها في هذا الاختيار ، فإن البنت البولونية قد انطسوت منذ طفولتها على حكة التطلع والجرأة التي ينطبع عليها المستكشف ، وكانت هذه المنة على التي صرحتها إلى الشخص من وأرسو إلى باريس والمورون .

والواضح أن ملكة المستكشف على ارتقاها وانما لا ترتقى في القدرة المظلية إلى منزلة الاختراع والافتتاح ، فإنها هي امتداد لعمل الحس والبحث بالعنيد ، ينتهي بطول المراقبة إلى رؤية الشيء الذي لا يرى بالعين لأول وهلة ، وتصل - أنه صبر على النظر ، ثم إيمان النظر ، إلى أن ينكشف الشيء الذي لا يد أن ينظر بعد طول المراقبة في وقت من الأوقات ، وقد كان العالم بيكرول Beqourol يبحث في إسماع علم « الأورانوم » قبل أن يبحث فيه السيدة كوري مع زوجها وأستاذها ، وبني كلامها بصف على تحرير بيكرول ، فوصلنا إلى الوجهة التي أتج إليها من قبل فاحشت الأتجد ، وإن لم يكن لهذا فضل التوجيه .

والحق أنه لما يؤسف له من أمات عصر الحديث زبح التمكن الاجتماعي في مسائل الإنسان الحلى كهذه المسألة الصالحة : مسألة التفرقة بين الجنين في الكفاية والوظيفة ، وعلاماتها البينة لشدة الإيمان في الحاضر وفي سوانق التاريخ - فإن هذه المسألة الصالحة لتجمع بين الشغل المستفيض وسين الحق المتأمل ، بحيث لا تقبل اللبس ، ولا تدع للناظر أن يطبق التردد حول مقطع الرأي نيبا ، لولا سنة العصر بمخالفة القديم على هدى) وعلى من هدى في كثير من جلائل الأمور .

فليست مساوئ التاريخ ومساوئ الماسر المشيئة ، بالثائرة الوحيدة التي تقيم الفارق الحاسم بين الجنس : إذ لا شك أن طبيعة تكوين الجنس أدل من مساوئ التاريخ والمساوئ الحاضرة على المساواة الضيائية التي اختص بها الذكور من نوع الإنسان ، إن لم تقل من جميع الأنواع التي تصاح إلى هذه المساواة ، فكل ما في طبيعة الجنس

الغريزية في أصل التركيب ، يدل على أنه علاقة بين جنس يربط وجنس يقبل ، وبين رغبة داعية ورغبة منجبة ، يتصلان على هذا النمط في جميع أنواع الحيوان التي تمتك الإرادة وترتبط بالمساواة الجنسية وقت من الأوقات .

وعلى وجود الرغبة الجنسية عند ذكور وإناث لا تبدأ الأنثى بالإرادة بالدموة ، ولا بالمرآة للقلب على لجنس الآخر ، وليس هذا مما يرجع له أصوله إلى الصياء الذي تفرضه المجتمعات الحديثة ، ويزكيه واجب تدبير وخلق ، بل يساعد ذلك بين ذكور حيوان وإناثها ، حيث لا يعرف صياء الحب والدين ، فلا تضم الإناث على طلب الذكور بل تتعرض لها لئلا تراها وتسيطر عليها باختيارها ، ولا تزال الأنثى بموقف تنتظر نتيجة مرآة عليها بين الذكور ، ليظهر بها قدرهم على اقتراحها

وإذا من ذلك على طبيعة البيضة الجنسية أن لا تصاب إذا حصل بها يحصل من الذكر للأنثى ولا يتأى أن يكون هناك اغتصاب حسي من أنثى ذكر ، وإن غلبت الشهوة الجنسية فتقتى بالرجس إلى المرأة والبطورة ، وتنتهي بالمرأة إلى الاستسلام والعشبة . وأعق من ذلك في الإبانة عن طبيعة الجسد ، أن عوارض الأنوثة تكاد تكون سلبية ملبية في العلامات التي يسمونها بالعلامات الثانوية . فإذا صغفت هرمونات الذكورة ولت إفراناتها بقيت بعده صفات الحيوة غلبة على الكائن الحى كائنا من جنسه ، ولكن صفات الذكورة لا تأتي وحدها إذا صغفت هرمونات لأنوثة ، وإنما يظهر ما كان يعوقه عائق عن الظهور .

ومن الاختلافات الجسدية التي لها صلة باختلاف الاستعداد بين الجنسين ، بنية المرأة يعترها الفم في كل شهر ، ويصلها الحمل شهرا شهرا ، وتوار بين أوضاع حولين قد تتصل بها بعدها في حمل آخر . ومن الطبي أن تشمل هذه الوظائف جانبها من قوى البنية ، فلا تساوى رجل في عماله التي يوجته إليها بنية غير مشغولة بهذه الوظائف الأنثوية . ويتضح أن تظهر هذه الحقيقة بغير مشقة عند موازنة بين استعداد

المبعوثين ، وأحرى أن تكون ظاهرة مفهومة عند الذين يدينون بالآراء
المادية : ويربطون بين قسوة الحميد وكل قوة باطنية أو ظاهرة في الإنسان
وسائر الأحياء ، وليس من اللازم أن يتطرق الاختلاف بالحالة التي تستغل
بها بغية المرأة بطلب الوظائف والأعمال فعلا ، لأن الاستعداد لها مركب
في الطباع ، معقود بتكوين الخلايا الدقيقة ، فضلا عن الجوارح والأعضاء ،
بالمن الطبيعي أن يكون للمرأة تكوين عظمي خاص لا يشبه تكوين
الرجل لأن ملازمة الطفل الوليد ، لا تقتضي بمقاوالت شدي وإرضائه ،
ولا بد معها من تعهد دائم وصحبة شمووية تستدعي شيئا كثيرا من التناسل
بين مزاجها ومزاجه ، وبغير فهمها وفهمه ، وبين مدارج حسنها ومعضها
ومدارج حسبه وعطفه ، وهذه حالة من حالات الأنثى شوهت كثيرا في
أهلوار حياتها منذ صبا فباتت إلى شحوظتها مديسة ، فلا تنال من
مشابهة للطفل في الرضى والغضب ، وفي التذليل والجماعة ، وفي حب
الولاية والعذب ممن يعملونه ولو كان في مثل سبب أو من أبناء .
وليس هذا الخلق مما تضمنته المرأة وتتركه باختيارها ، إذ كانت حصة
الأطفال تنتم للرشاع ، تقترب فيها أدوائه النفسية بأدوائه الجسدية ،
ولا تفصل إصداهما عن الأخرى . ولا شك في الحقائق الضرورية
للحضانة وتمهد الأطفال الصغر أصل من أصول عين الانشوي ، الذي
جعل المرأة مربية الانقياد للنصي . والاحتياج للسلطنة ، يصعب عليها
ما سهل على الرجل من تحكيم العقل ، وتغليب الرأي ، وصلة العزيمة .
فما ولا شك مختلفان في هذا المزاج اختلاف لا يسيل إلى المارة فيه



وبعض هذه الفروق أن استعداد الجنتين كلف شرح معنى « الفرجة »
لكن يعز الرجل على المرأة في حكم القرآن الكريم ، فهو معنى اقرب
إلى الوصف أشاهد منه إلى الرأي الذي تتمدد فيه المذهب ، فلا يدور
تقرير الواقع من يرى أن الفسيفساء سواء فيما لها وما عليها . إلا درجة
يحتار بها الجنس الذي يملك زمام الحياة الجنسية بحكم الطبيعة والتكوين .

الفصل الثاني

من الأخلاق

جاء وصف النساء بالكيد في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم ، مرتين
على لسان يوسف عليه السلام ، ومرة على لسان العزيز لا في سورة
يوسف .

وقال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ، وإلا تصرفه عني
كيدهم أصب ليمن وأكن من الجاهلين .

وقال لك اتقوني به ، فلما جاءه الرسول قال أرجع إلي ويحك
فأبى ما يال البقرة اللاتي تملكن أيديهن إن ربكي يكيدهن طيم . آية ٥٠ .
« فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن »
عظم . آية ١٢٨ .

والكيد مفعلة في مواضع كثيرة من القرآن ، بعضها منسوب
إلى الإنسان بعضها منسوب إلى الشيطان ، ومن الرجال الذين نسبت
إليهم صالحين مؤمنين ، ومنهم كفرة مفسدون ، بل وردت وصفا لك
سبحة ، وتعلني مع المقابلة بين الكيد الإلهي وكيد المخلوقات ، وبغير
مقابلة في كيات .

ويدخل في كيد صفات كثيرة تمدح وتذم ، وتطلب وتمنع ، تشرك
كلها في معنى التدبير والمعالجة والحيلة ، وقد يجمع الحميد والذمير منها
قولهم : « الحرب مكيدة » لأنها تدبير ومعالجة وحيلة تتطلبها موقف
القتال ، وقد تدمح لحيث في هذه المواقف ، كما نظم في سهاها
وقد جاء وصف الكيد في سورة يوسف نقشا منسوبا إلى إخوة
يوسف إذ جاء فيها على لسان يعقوب عليه السلام :

« قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا ،
إن الشيطان للإنسان عدو مبين . آية ٥٥ .

وجاء منصوباً إلى الله تعالى بمعنى التبع :

« فَيُحَدِّثُ بَأْرُؤُسِهِمْ قَوْلَ رِجَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَطَرَّجَهُ مِنْ وَجْهِ أَخِيهِ »
كذلك يحدث ليؤوسك ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله .
آية ٨٧ .

أما الكيد الذي وصلت به امرأة العزيز ومجاهداته ، فهو كيد يعمد
في المرأة ولا يقرب إلى غيرها أو هو كيد من الذي يتشتم به ويصدر عن
غلاظهم وطبايعهم ، كما يفهم من الإساءة المتكررة في الآيات الثلاث ،
ويبدل عليه عمل امرأة العزيز فيما عشت به زوجها ، واحتالت له من
مرأودة غلامها عن نفسه ، ثم من اتهامه بمرأودتها وتصلها من غلامها .

وكما أعمال تتلفس في « الرية » أو في إظهار غير ما تبطنه
واحتيالها للفس والإخفاء .

والرياء صفة عامة شائعة في كثير من المستضعفين من الرجال والنساء ،
واسبابها الاجتماعية تحدث لكل ضعيف يقهر غيره ، فلا يقص المرأة
دون الرجل ، ولا يفحص بين لغة من الناس دون لغة . وقد يصعد
للحيوان الضعيف ويلجئه إلى المزاغة والملق ، وهو لا يتكلف لذلك كما
يتكلف الإنسان الذي يفكر فيما يحمل وقبها يلعد إليه .

وينسب رياء المرأة إلى اضرورات التي فرضها عليها الضعف في حياتها
الاجتماعية أو حياتها البيئية ، وقد يظهر فيها على نحو يابسها حتى
يتشبه بلبواغات الأنثوية المقصورة عليها ، فلا تختص به في أصوله إذ
كانت أصوله من الضعف الذي يشاركها فيه جميع الضعفاء . وإما
تفحص به لأن مواءمات الأنثوية مقصورة على جنسها .

إلا أن « الرياء » الأنثوي الذي يصح أن يقال فيه إنه رياء المرأة
خاصة . إنما يرجع إلى طبيعة هذه الأنثوية ظروفا في كل مجتمع . ولا تعرض
عليها آداب والأشرائع ، ولا يعرفها باختيارها أو بغير اختيارها ، بل لها
من تأمر أن يفارقها في كل شيء الاختيار به .

فمن أصول هذا الرياء في تكوين الأنثى أنها مجبولة على التناقص

بين شعورها بضعفها حب البقاء ، وشعورها بخواريتها النفسية . فهي
تعرض للخطر على الحياة وتفرح ببقاء أنوثتها في وقت واحد ، وهي
إذا تفرغ حملها تتألم أشد الألم وتمتحن جوع الخشية على حياتها حين
تضامرها وتسر في كيانها نبطة الأم التي أتت وجودها وترجت
حياتها الجنسية بمر ما تنسب إليه وتعتاه ، ويسوى كيانها على أن
تفرح وهي تتألم وتتألم وهي تسرح ، فلا يستقيم شعورها خالسا من
النقصان في أعصر وقتها التي خللت لها ، ومثل هذا التناقض يلزم
مرأولها جميعا فيه هو دون ذلك من نزعتها وأهوائها .

ومن أصول هذا الرياء في تكوينها ، أنها مجبولة كذلك على التناقص
بين شعورها بالشخصية الفردية ، وشعورها بالظلم والملاحة الزوجية ،
فهي كجميع الحشرات حيية ذات « وجود شخصي » مستقل تفرص
عليه ، وتبني أن تنفيه أو تتطلى عن علامته ومعالم كيانها ، وهي في
حسوزتها « الشخصية » مدفوعة إلى سد كل انقياس يندرها بلفاء في
شخصية أخرى ، ولكنها لا أشد حالات الوحدة لا تتلوى إلى شيء كما
تتسوى إلى الظفر الرجل الذي يطبقها بتوقعه ويستحق منها أن تؤول
إليه ، ويلحق وجودها بوجوده ، وأسد ما تكون في حبها أو في علاقتها
الزوجية إذ يطبقها لرجل الذي يفرغها بالشهوة المضاعة والعزيمة النافذة ،
ونتيجة المقاومة عندها أن تجمع بين الانتماء والغزلان في لحظة واحدة .
فهي منتصرة حين تقهر بالرجل الذي يتلبها ويستولى عليها .

وشبيه بهذا التناقض مع الاختلاف أسببه ، أن الرغبة الجنسية عند دم
تفصل عن الفريضة النوعية في معظم أيامها . فليست الرغبة الجنسية -
بحكم الطبيعة - بتأ في وقت من الأوقات عند الرجل ، ولكنها عت
عند المرأة في أوقات حملها وفي غير أوقات الحمل من أيام خواريتها
الشهرية . وقد بوقت أنثى الحيوان من هذا « نبت لأهها إذا حملت
صدت عن الذكر ومنذ تذكر عنها ، ولكن المرأة التي تنص أمه غاشة
في أحق الوظائف النوعية بالجد والمبالاة ، يفظأ عندها الحب بالحد

والسرور العظيم بالطبيعة الطبيعية . وقد تفتى بعد من الناس رحبا
يحكمها فيه هذا الحب الذي لا نظير له في حياة الرجولة

وحب الزينة أشد من أصول الرياء يشاوعها فيه الرجل في ظاهر
الأمر ، وسكنه يمسها في جانب غير مشترك بينها وبين زينة الرجولة .
فإن الرجل يتزين ليبرز إرثته ، وإنما تتزين المرأة لتعرض لإرادة غيرها في
طلبها ، وزينة المرأة كالفية إذا رافت بظنرها الظاهر في عين الرجل ،
ولكن زينة الرجل تجاوز ظاهره إلى الدلالة على قسوته ومكانته وكفايته
لغاية أهله . وأيدت الزينة التي تواد للأغواء بالقبول كالزينة التي تواد
للأغواء بالطلب . فإن الفرق بينهما هو الفوق بين الإرادة والالتفات
وبين من يريد ومن ينتظر أن يراد .

وجبة القول أن الرياء على صومه هو إظهار غير ما في البطن ، وهو
هالة تعرض للرجال والنساء في الحياة الجنسية وغير الحياة الجنسية ،
وسكن ذنوبة تفتن ملون منه ، لأنها إذا لجأت إليه فإلتقا تلجأ إليه
المطارد لأن من ظلمها إلا تظهر كل ما في نفسها ، وإن كن من الأسر
الطبيعية فهي لا إثم فيها ولا مخالفة بها لوظيفةها

الفصل الثالث

هذه الشجرة

نصه الشجرة المنوعة التي أكل منها آدم وحواء ، هي الصورة
الإنسية لوسائل الذكر والأنثى في الصلة الجنسية بين عامة الأحياء
الرجل يريد ويطلب ، والمرأة تتحدى وتغري . ولتتمثل في القصة
بذات الشروع في موعدها . أي حيث ينبغي أن تتمثل أول علاقة بين اثنين
من نوع الإنسان .

وقد ذكر في القرآن الكريم نصه الأكل من الشجرة في ثلاثة مواضع
من سورة البقرة ، وسورة الأعراف ، وسورة طه
في سورة البقرة :

« وَكُنَّا بِأَدَمَ لَكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْغَالِينَ . فَارْتَدَّ
الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِنْهَا كَانَا فِيهَا » آية ٢٠ ، ٢١

وفي سورة الأعراف :

« يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْغَالِينَ . فَوَسَّوَسَ لَهُمَا
الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مِنْ وُورِهَا مِنْ سَوَاتِنِهَا ، وَقَالَ مَا مَنَّكُمَا
رَبُّكُمَا مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْغَالِينَ »
آية ١٩ ، ٢٠

وفي سورة طه :

« فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ، قَالَ يَا آدَمُ جِدْ أَدْنَى هَذِهِ
الشَّجَرَةِ وَمَنْكَ لَا يَبْلَى ، فَكُلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا
بَعْضُهُمَا عَتِيْقَهُمَا مِنْ وَرَقِ الشَّجَرَةِ ، وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى » آية ١٠٠ ، ١٠١

آية ١٠٠ ، ١٠١

وليس في هذه الآيات من السرور الثلاث إشارة إلى ابتداء هواء
بالإغواء ، أو تأكيد على ما جاء في سورة يوسف ، ولكن بمعنى المصيرين

ذكر ذلك في شرح الآيات متصداً على السؤال حفاظ التوراة من بني إسرائيل الذين دخلوا في الإسلام ، فقال لطريق من المفسرين الأقدمين نقلاً بالإسناد عن وهب بن منبه :

« ... لما سكن الله آدم وزوجته الجنة ، ونهاهما عن الشجرة .. أراد إبليس أن يستزلهما فدخل في جوف الحية .. فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها إبليس فأخذ من الشجرة التي نهي الله عنها آدم وزوجته فبعا به إلى حواء فقال : انظري إلى هذه الشجرة ! ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها ! فأخذت حواء فأكلت منها .. ثم دعت بها إلى آدم فقال : انظري إلى هذه الشجرة ! ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها ! فأكل منها آدم .. فبعت لهما سواكهما ، فدخل آدم في جوف الشجرة ، ففساده ربه : يا آدم ! أين أنت ؟ قال : إذا مضى يربى ! قال : ألا تخرج ؟ قال : أستصعب منك يا رب .. ثم قال ربه : يا حواء .. أنت التي تحررت مبدى .. لماك لا تفعلين حملاً إلا حطت كرها ، فإذا أردت أن تصمي ما في بطنك اثمرت على الموت مراراً ، وقال لحيه : أنت التي دخل الثمنون في جوفك حتى غر عيذل ، طعونة أنت لعنت .. ولا يكون لك رزق إلا القرباب .. أنت عذوة بني آدم وهم أعداؤك ، حيث لقيت أهدأ منهم أخذت بخيه ، وحيث أليك لدخ رلك ... »

وقال الألويسي صاحب « روح المائى » من المفسرين الحديثين : « وقيل بينما هما يتخرجان في الجنة ذراعهما حاوروس تجلى لهما على سرور الجنة ، فذنت حواء منه ، وبما آدم هو يوسف لهما من وراء الهمدار ، وقيل توسل نية فسور الجنة ، واشهور حكاية الحية .. وهذا الأخيران يشير أولهما عند ساداتنا الصوفية إلى توسل من قبل الشهوة خارج الجنة وتانيهما إلى توسل بالغضب ... »

ورجع هذا الشرح كما هو ظاهر ، فمة التوراة التي حفظها وهب بن منبه .. ودروها لصاحب من السلمين بعد دخوله في الإسلام ، ونمها كما جاءت في الإصحاح الثالث من سفر التكوين .

« وأكلت الحية من جميع حيوانات البرية ... ففادت للمرأة : ألقا قال الله لا تأكل من كل شجر الجنة .. ففادت المرأة : من شجر الجنة تأكل وأما من الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكل منها ولا تمسه لكلا ثمرتها .. ففادت الحية للمرأة : إن ثمرتها .. بل الله عالم أنه يوم تأكلون منه تتفتح أعينكما وتكونان كقلائد عارفين الخير والشر .. ففادت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل .. وأنها بذية للعيسون .. وأن الشجرة شهية للنظر .. وأخذت من ثمرتها وأكلت .. وأعطت رجلها أيتها منها تأكل .. وانفتحت عينيها وأعطى لهما عريانان .. فغشاها أوراق شجر .. وصلتا لأنفسهما بآزر ، وبما صوت الرب الإله ما شيا في الجنة عند هبوبه ريح النهار .. فدخل آدم وإمرانه من وجه الرب الإله وسط شجر الجنة ، فعادى الرب إلى آدم ، وقال له : أين أنت ؟ فقال : سمعت صوتك في الجنة .. مخشيت لسي عرس واختبات .. فقال : من أعطاك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها ؟ فقال آدم :

المرأة التي جئت بها من هي أعطتني من الشجرة : فقال الرب للمرأة : هذا الذي فعلت ؟ ففادت المرأة : الحية خدعتني فأكلت .. فقال الرب للإله : لأنك فعلت هذا فلعنة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية .. على بطنك تسمن بترابا تأكلين كل أيام حياتك ، وأضع عداوة بين ربي المرأة وبينك ونسلها .. هو يسحق رأسك وأنت تسحقن عقبه ، وذل للمرأة : كثير أكثر أعصاب حياتك .. بالوجع تلدين أولاداً ، وإلى رجلك يكون اشتياك وهو يسود نعلك .. وقال لآدم : لأنك سمعت لقول امرأتك وأنت من الشجرة التي أوصيتك فلا لا تأكل منها .. طعونة الأرض بسبك .. بالعب تلك منها كل أيام حياتك .. وشوكا وحسكا تثبت لك ، وشكل شب العذل .. ووجعك .. فأكل خبزا حتى يعود إلى الأرض التي أخذت منها ، لأنك تراب .. وإلى تراب تعود ... »

وعلى هذا المرجع من التوراة اعتمدت كتب العهد الجديد حيث جاء في الإصحاح الثاني عشر من كتاب كورنثوس الثاني :

« ولكنى أضاف أنه كما حدثت الحياة حواء، منكرها هكذا تصد أفعالكم
عن النساء اللاتي في المسيح، ..
وجاء في نيموثاوس من الإصحاح الناس « إن آدم لم يعمد، ولكن
لمرأة أوبت فصلى في العبدى » .

تلك قصة الشجرة في كتاب لأديان، وهي رمز مرزها السهلة عن مداه
لنوع المخلقة في إدراكه بمفهومه من الجسمي، وعن دور كل ههنا في موقفه
من الجسم الآخر، على توجه جديد على م « زيادة اسوع، واحتماطة
على بقائه، وإنما يتم هذه زيادة من حسن يملك الزمان، وجس تقوم
بإدائه عن أن يترك بزيادة، وقد برحمت قصة الشجرة من الجسم
أنكسر في هبات الأحياء جسد من الإلهاء، وبين، بطردة
والانقياد، مضطرب، .. كل جسمه شير به، وتكون وذاوات،
وتفقد في تمام لأمر من جسمه، .. وأيضاً، .. على
في جسمه، .. في دقائق الدنيا للصدمة، من يتركه فيها ذلك الكيان،
بعد كل دعائه مذهبيه، وكل سر من أطوار الشطح الساسي - وبعد كل
ترويح أو ترويح يغط به أولئك الذين ينظرون حرمهم ولا يحسون، أو يحسون
ما حرمهم وما في أنفسهم ولا يفقهون ..

ومن عناصر أصبح الإنسان التي أنشأنا إليها فيما تقدم، أن تخالف
المرأة أشد احتانقة وتدعى عامة لإدعائ، حتى مضطرب الجسم فيها من
إرادتها القوية، يرادتها النوعية .

وحب لإعواء على هذا نحو مفهوم بضميريه أو بفضله، مفهوم على
المواقفه وعلى المحالفة، أن المرأة محكومة لا تحكم غيرها إلا من طريق
إعوائه، أو من طريق تنبيهه إلى « هو » فهي تنظر بعينه لغيره، كما جاء
في العهد القديم .

وكل خلق من أخلق المرأة مرمر إلى فيه في قصة الشجرة، ومنها الموضع
بالموعبات كما يوضع بها كل محتوم مضطرب إلى الانتعاش .

قال الشاعر الجاهلي طيبل العنوي
إلى النساء كأنجو ظفرك لينا
مضب المرار، وضى المر مكر
إلى المساء متى ينهين عن خلق
ناب واجبة لا جد ممول

ولا يولد المرأة بالمعوج لأنها محكومة وكفى، أو لأنها محكومة
لصعب، متعلوها على من جديها، بل هي تولد بدموع لأنها تتدلى،
ولا تلبس، .. وتستطع - ولأنها موهوبة إلا ادة لا تطبق الصور على حدة
العوية ولا متعاش، وكل أولئك عنوان قصة أخرى من ورائها : هي حمله
حسب السيل (١) .

« ... وأوج بالاعراء والإعواء، هو لوج بالحائفة والعصين، كلاهما
بال على رجوع الأهر إلى الآخرين، والحائفة نيل على أن يضال بمقوم
بها، .. والإلهاء على أنه يرجع إلى غيره في العمل ويستمد عيه - فها
سرتان من هذه الشجرة، أو هما فستان من حمال الأوبة الخالدة
في المصير .

« تمرس المرأة وتسر بالرحم يطلب وسعى، والنعم من هو الخطوة
الأولى في طريق الاغراء، من ثم تكسر هوواء لاغواء بالتقييد والحيلة
والوسيلة مريبة والساء، وكل أولئك ممدد، .. منك بركة الآخرين
و لا تضر .. » .

« زيادة المرأة، خلق بأمرين - سبحانه في ربه، .. مقدره على
الانتظار، .. بعدا كما بركة المرأة سبها في الشؤون الجنسية على الأقس،
.. ثم خلق في جميع الشؤون، .. بعد كنهه (لا) .. علة طيبة تمتد بها
.. ربه، .. لا مصدره، .. فأصبح ما تكون له لارادة واضر حين تنوي
لا تنفذه ولا تسلط ولا تصب ولا تطيع - وهذا تتمثل هذه الحقيقة
بها نسبة العباد .. وقواء العباد كله أن يقلوم المسند رغبة الآخرين

وحمل الآخرين . فالإرادة التي تعمل في الصناديق ، والإرادة التي تعمل في الميزنة مدركة ، وهذا هو شأن الإرادتين في عالم الأحوال .

« وليس للمرأة أن تربية غير هذا النوع من الإرادة ، بل يجب عيشة في أصول التركيب والتكوين . » وهو قف الجنين من الاستجابة طالع النوع يهتديا إلى حكمة هذا الفارق من طريق قريب . فالذكور من جميع الحيوانات قد أعيت القدرة - تركيب الجسمي - على إكراه الأناث لاستجابة مطالب النوع ، طائعات أو مقسورات ، ولا يقاوم ذلك إلا في حال من الحالات الصعبة ، فعادة ما يحد من وسيلة ، يهين ، عية في الذكور ، وأن يجهلهم يرددون ، ولا يستطيعون الامتناع عن الإرادة . »

« فهذا الفارق ملحوظ في عمل «حصى» تركيب جسدي من كلال الجنس ، من حيث «نقري» من ذكر ، أنثى في علم الجوار . وحكمته قد مره كل مظهر لأنثى هي أحسن من موقع بقائه النوع . وارتقاء الأفراد صلا بعد صل . فالاعواء كلف بشرى ولا حكمة بها إلى إرادة القسرة . من لمست ترونها بالردده أنى عابها لذكر عابها . لأنثى حتى حمت كتمت هذه الإرادة بصيغته هو . هذه خصا بهم جسدي . على حين أن الذكور قادرون إذ أنوا مطلب النوع موه . أن يؤذوه مرات بلا عاقب من التركيب والتكوين ، ويمر هذا في حاله الأنثى بميسور على وجهه من الوجوه . »

« وإكره الأنثى على تلبية إرادة الذكر بعيد النوع ، ولا يؤدي مثل الذي يثبت من ذكر قادر على الإكراه وأسس مبرورة مفتحة الاعواء . » هذا تقم للزوجين أحسن الصفات الصالحة لأحباب مثل ، من قوة لأبوه ، وحاصل الأمومة ، ويتم للزوج مقصد طبيعى من عليه لأقرباء لأصحاء ، تدرين على صعان سلهم في ميدان التنافس واسماء . وعلى نقيض ذلك لو أعطيت الأنثى القدرة على إرادة والإكراه ، لكأن من جراء ذلك أن يصحاح النوع ويشل الشل ، لأنه قد يثبت في هذه الحالة من أنثى الذكور الذين ينهزمون تحت ، وكيفما نظرد إلى مصلحة النوع ، يوجد من الحي به أبدا أن ملكيب الذكور بالإرادة ولتوة . وأن تكفى الأناث بالاعواء والتلبية .

حل وحده . ن فوارق البنية قد جعلت السرور في كل من الجنس قائما على هذا الأسس الضيق في الطباع . فسلاسرو للرجل في إكراهه على مطلب النوع ، بل هو معص به مضط من لذة جسمه . أما المرأة فقد يكون استسلامها مسألة تعرض عليها باعث من تكر سواحت سرورها . ولعلها أن يكون مطلوب بذاته كآفه عرض مقصود ، بل هو في الواقع عرض مقصود بها فيه من الدلالة على موقف الأنثى إلى إغواء أقوى الذكور ، ومن التدايم النظرية أن تتقدم رأه بالإكراه ولا تكسر في استجابتها لتنوع ، لأنثى تفطر بيدها إلى الأثرية إلى هذا الفارق الأعيد في خصائص الجنس . »



« ونحن نسا هذا أن نلظر في المعدل الطبيعي بين خصائص الذكر وخصائص الأنثى ، وإثنا سجل هذه الحقائق باللاحظة الصادقة ، والدلالة الواضحة . ولا يعيبنا أن نكتب لها ميراث «معدل في توزيع الطوائع واسكان . » كتبنا مع هذا القول بعد متقول . إن لمول هذا بين الجنس غير منموذ . من بقية هذا ليست بالقسمه الصوري () فإذا قيل إن الحم قد حصى من المرأة ، لأنه حمها بالأكلم ، وحمل لإرادته من نصيبه للرجل ، فلا يدعى أن أنثى أن الحمل قد أتاح للمرأة مرة فطرته لا تقاوم بروحها على وجه القين ، وهي ضمن قلبها يميز دخل ولا ارتباب . فكل من ولدت لمرأة فهو ربيدها الذي يستحق عقوبت وخصاها ، وليس ذلك من الإماء . هذا بسبب البهم من الأنساء . وما من أم يسأل عن ألم الحمل إلا تبين من شعورها أنها تستعقبه ولا تسرم به . وهذا قد تشر سبطه من الأكلم لا يرهف الرجل القين يتورون على الآلام ، ومن امراج الأكلم مصيعة المآة اصحت الفقرة بين أمها وذات في رعاية الأبناء من أصحاب الأمور ، وعلى هذا يعتر أرجل بأنه يريد المرأة ، ولا يفتقر امرأة بأن تريده . لأن الاعواء هو محور المصير في النساء ، والإرادة العائيه هي محور المصير في الرجال ، وبهذا بد . لطيفة المرأة بمدرة الاعواء وعوضها بها عن هذه الخلة

(١) الميراث البشارة وفي القرآن . تلك أمينة مبرور . سورة النجم ١٠٠

والزينة ، بل جمعتها هي تحب هي المبالغة في تحقيق مشيئة الجنس
على السواء .



« ولكن التفرق في عدة المواقف ، واجبه بين ما هو من صفات الجنس
كله ، وما هو من صفات هذه المرأة أو ذلك من أفراد النساء . فقد تكون
امرأة من النساء أذكى وأروع من هذا الرجل أو ذلك ، فتأخذ بالحيلة
والدهاء ، كما يطلب الأدكياء الجلاء في كل مكان يتصلون فيه . إلا أنها
صفة غريبة لا يقاس عليها عند بيان الصفات الجنسية التي غمت
بها المرأة على التحميم . وهذه الصفات الجنسية هي التي تمتد في هذا
المقام ، لأنها الثواب المشترك بين جميع نبات حواء ، في مواضع الجنس
الأمر وهو جنس الواحد . »

« فإدى ساعد امرأة من قبيل الطبيعة على عرق الرجل هو الهوى
الجنسى في تركيب الرجل نفسه ، فبولا هذا الهوى كانت حلفتها منه من
أضيق الضل ، وسلطانها عليه كاهون ملهى . ومما يربط أن الطبيعة
هي المحافظة حب ، ويستمريرة في التي تعمل بقدرتها وحنانها ، إن
مواها في نفس الرجل شبيه بكل هوى يدعو إليه بحكم المادة والقدرة ،
فهو يعطى من متارمه تشبهين ، أو مصافره الحر ، عا . يجهد ويطلبه
على مشيئة في كثير من الأحيان ، ولو كان للتح أو للضم لسان يتكلم لجلز
أن يتحدث الناس من سافهما لمسول الذي يظن العمول ، وعن حملتهما
السادة التي تطلب المرتد . »

« والأداة الثالثة من أدوات الإغواء والاعراض ، هي قدرة المرأة على الرأى
والنظاير مع ما تخفيه بهذه الحملة قد تدعو ميمها حتى تبلغ رغبة
النصر الجليل ، والقدرة على ضبط الشعور ، ومعالجة الأهواء ، وقد
تسبل حتى تعامها الفسوس كما نعرف قبح الضل والفتاق . أعنتها
عليها روافد شتى من ميم طوائف لأنوثه التي يدرك أن شريك ميم
حسب الأعباء . هي صاب هذه القدرة على الرأى ، أو هذه القدرة
على ضبط الشعور . أي امرأة لقد وضعت ريف على إضفاء صفت ويصعبها ،

لأنها تخلق الحب أنفة من المفاضة به والتمس إليه ، وهي التي خفت
تنتمع وهم رعبه ، وتمشى النفس لأنها معتاده إلى المدارة كاحتياج
كل شيف إلى مدارة الكوياء .

« ومن أسباب القدرة على الرأى ، أو القدرة على حبب الشعور ، أن
لأنوثه سلبية في موقف الانتظار ، وليس من شأن رغباتها أن تصرع إلى
الظهور والتعبير ، أو ليس من شأنها أن تتلح بالظهور والتعبير كما تتلح
رعات الذكر . »

« ومن أسباب القدرة على الرأى ، أو القدرة على حبب الشعور ، أن
مبالغة الإلام قد حردتها مخالفة للخواص النفسية ما دامت في منى من
مطلوعها ولكنف عليها ، ومنها أن أصلهاع الزينة لدى سائر
في خلقتها بما هو في لبه سلطان لكل ظاهر تصب الأبرص والأسماع ،
أو تصب انضمامه والإهمام . »

« ولا لمة العربية توفيقا كثيرة في الجمع بين الطبيعة السادية
والحسنة البخارية بكلية وحدة ، ومما كلمه « التبريد » التي تلبد
معنى القرن برأى البيون كما تلبد معنى التبريد برأى الفسوس . »
« وروشح هذه الطبيعة الأنثوية في تكوين امرأة - تسفت بالربا .
لعمري تعينه ، ولعمري تعرض لطيفه في كثير من الأحوال ، كأنها وظيفة حيوية
تستشع بها بالمالجة والريافة كما تستشع الأعضاء بالهركة والنشاط . »

« وقد يعجز المرأة عن الرجل - غير الهوى وغير الشذع - فهو آخر
هو في الحقيقة خلق يعجز الرجل على نفسه ، وليس من امرأة ميمه إلا من
تسبل الأدكاء والتقصية . فإمرأة سكن للرجل كب جاء في قرآن الكريم .
ولا يطير المكسار أن يعجز من سكنه ، أو يجافى عن الهدوء والطمانينة
فيه ، ولا تتم سعادته به إلا أن ينشئ معه المنز ، ويف عليه بجمع
مؤأاده وحيوية نصيره . فهو لدى يمم عيبه يديه ويسمى إلى الرقاد
هرا من . ملا . ريمف ما بقيته من الحداع إنما هو الخدع الذي شفه
بيمينه وبخرفة بتفديته . وكذلك المرأة إذا تلتفت بالرجل . أليس هذا
إلى انصرس ، وكان مداعبه بها أيسر من خذعه . »

« ومن عوايل المرأة اكبرى أنها قمية السبق في طية التدنس بين الرجال - فالظفر بها يرمى كل شعور بحدك بئس الرجل ، سواء - معه ما يتداوله بأفراكه ووعيا وما ليس يدركه ولا يعيه » .

« وقد اختلف أصحاب المذاهب الفلسفية في تعيين نوازح الحياة التي يفسر بها أعمال النفس وتورد إليها - فتعال بمصنوعاتها طلب القوة ، وقال غيرهم انها طلب النساء ، ورغم هؤلاء هؤلاء انها طلب القوة ، وجاء آخرون في العمر الحاضر فتعلموا بالنوازح الضمنية وراء كل غيرة .. »
وتفخروا بها إلى كل مرئيات من سرديف النفس الخفية ، وأما كان مصحح المصدق من هذه النوازح ، فابرة منها جيمعا تطلق شعور القوة وشعور النساء وشعور اللذة ، وتتقوى وتنتج الخمس إلى حدودها الكامنة في أورد ، بواطن سحر .. »

« وما لظن بقصة سبق التي استطاع أن يستمد من إيمان من ساء ولتأني عن تشاء ؟ إلى استيقظن لتتحررون على القصة العرساء - وهي لا يحكم بهم شيء ولا يفاضل بين يمين ويمين .. » المرأة هي تلك النصية التي تحاسي ، مدافى حرية ألا تنفي في عزيمة المادين مقيمة من نوازح السبق .. »
« تلك هي بعض عناصر العوايل الأنثوية التي تملكها المرأة من حيث تحرر ولا تدري .. » وكذلك تثبت الشرة المثلية على هذه الشجرة .. »

الفصل الرابع

الأخلاق الاجتماعية

سخرى حكمة القرآن الكريم في النص على قوامة الرجال من أهوال المجتمع ، لما تتخلل من أهوال الأسرة أو أهوال الصلة الزوجية بين الذكر والأنثى ، أي بين الرجل ، امرأة في سوح الأنس .

بالأخلاق في المجتمعات الإنسانية علمه مصنفه دائمه ، وصوره لا قوام يجتمع حبره على مرره من دورها .. وهـ د ، الصلوة لم يكن في محتملات الفاس ؟ يكفيه إن لم تكنها قوامة الرجل ، من الرجال هم مرجح كل عرف مصصح عليه في لأخلاق وراء منها أخلاق الذكور وأخلاق الإناث ، ولم يؤثر من المرأة عد أنها كانت مرجحاً أصيلاً خلق من الإخلاق لم تتلقه من الرجال ، ومن نتجه به انهم ، ولا استثناء في ذلك للمبتدئ التي بعدها من أحسن الصفات الأنثوية ، ومن أنثويها إلى طبيعة المرأة ، وأبرزها في هذه الخاصة بذات النساء والحصان والبطانة .

وتكر من السائق عقلاً أن تنشئ امرأة خلقت الطرف كله ، لأنها تقسم النوع منذ نشأته في الأرحام ، إلى أيام مموه بين الحضور والمهود ، وبسوى خصائصه النسوة إلى أنعم البرقة ، ثم تتسلمه قريباً بعد أن تسلمت أبناً متدج في تكويبه إلى تمام هذا التكوين ، كما يتم في دور المرافقة فدور النساء .

كان هذا هو القامع حضلاً ، لو كان في المرأة استعداد مستقل لتكوين القيم الأخلاقية ، وإنشاء تعرف بالاصطلاح ، ولو في بواكيره الأولى .. إذ هي قدرة في دور انحصاة على بث البدور لخلقها في اعادة ولبادي .. »
مهما يكن من صعد الرجل لحبها -

غير أن لوائح المتكرر في المجتمعات الانسية حافة - أن المرأة تنفي عرفها من الرجال - هي مما يخصها من خللق الحياء والاعتدال والنظافة كما تقدم ..

في إنما تستحق لأتعب تلقى خليفة الحياة من طبيعة أو من أهلاء
لرحل غيب ..

وحياة المرأة الذي تلقاه من الطبيعة أنها تجعل من ممانعة الرجل
موانعها الجنسية ، وتنتظر لمفاتيح من جانب ، وإن سقطت إلى الص
والرغبة . وشأنها في ذلك كضأن حسم الإنث في جميع أفرع الحيوان ،
فإنها تنتظر ولا تتحكم ، أو تتحكم ولا تهضم ، ومنها أن تتمثل ذلك
ماتح من ترويض الوظيفة لا يصدر عن دافع أخلاقي ، ولا عن أدب من
آداب السلوك . إذ كان مانعاً يتسارى فيه حيوان العقل وغير العقل ،
كما يتسارى فيه النوع الذي يقتاد للفريزة وهذه ، والنوع الذي
يواصل على سنة من سنن الحياة الاجتماعية .. بل إن خلق شريك الأنثى
للاستجابة ولم يضق للإشياء والأرقام ، وير هذا الحق أن تزيد الأنثى
وخيشة الابتداء والأرقام بحث مضيق لغيره لموضع ، متى شئت بالحمل
والرضاع . كما تمثل بهما عب استعدادهما في معظم الأوقات .

وهذا الحياة الطبيعي لا يحسد من القه لخلقته التي تردده المرأة .
وتعليق على نفسها وعلى غيرها ، ولكنه يدل من أعمال التكوين بصطم
بالمنفعة العقلية ، كلما وافقت أدب الاجتماع
وإنه يصعب من القيم الخلقية ذلك الحياة الذي تطلبه الآداب ، ويقتل
بالأرادة والاختيار ، لا غرق في ذلك غير لأرادة الجامعة وإرادة الأفراد
المتفرقة ..

وهذا الحياة الذي تحبه الآداب ندين به لمرأة على قدر انصالة مشهور
الرجل نحرها وظهرته إليها ، غير اجتماع النساء مع مبيدا من أمين
الرجل . سينه ولم يكثر ثله ، ولم يباين شيك مما يبينه وهن بأعير
الرجل في الحصر والغيب

فالمرأة لا تتوارى عن لمرأة في أحمام ، ولا يصير ر نسر نسوا من
أعناقها ، إلا أن تستر مـأواة لميد وخوما من مناقشة أنظائر ولاتراد
وله يمهـد في القرائن القوافل أمين في الأهم التي استجتمت التحصيل كـ
يحجب عن من الرجل من والحلقة على أعينهم وهن عاريت ويسوع

لنساء أن يذهبن ممسا إلى ضرورتهن ، ولا يسوع ذلك في عرف الرطل ،
إلا من تتركهن عليه الطواري في غير المعيشة المعتادة

والحق من الحياة بأمرأة هذأها المشهور ، ولا سيما البصن بالأطفال من
أبنائها ، غير لسانها . وهذه صفة من عقاب الغرائر ، يوجد في إنث
الأحياء ، ولا ممتاز ميب نسي الإنسان إلا على قدر مثير العقل على غير
معادل له كـ ما فستركان معه ، ففسس الحسان الطبيعي يصلح بتدوير حق
لرحمة في امرأة حين يتصل بإملاء لوحدها ، لأعير وسلطان ضمير وإملاء
يصح بتدوير هذا الحق ميب أن تقارن بين عطف الرجال وعطف النساء
على الأطفال من أبناء الآخرين ، فربما شوهـد الرجل وهو يسف على
أندمه رجسته من غيره كما يعصف على أبنائه ويسوي بينهم في العير
والمصلحة ، ولو من قبل فتن ورعاية لمشور ، وتصلك امرأة غير هذا
لنحو لـ مناسه أساء الروح من غيرها ، فلا يجمو هؤلاء لأماء أحيانا
من النعدي ، الشعى وتعبد الأدلال والانداء ، ولا يطعم القلوب منهم
في السلاية أو في التصاهر بالمساواة بينهم وبين إخوانهم في ست سل
يحدث كثير أن يقع التمييز والإيثار عند وجهه للأعمال في الإماء
ولأنهم من الأم بجهته العائنه ، وقد يكون في عدد الأموات . وهذا
كله كان حرب أن يفكر بين الرجل والنساء : حيث يتصل على لخصوص
متكاليف الامتاق والعماية . لأن الرجل هو الذي ينفق من ماله ويكلف
من وقته وجهده ، ويعله حيث يرجع الأمر إلى حة الأنثيه ، أو أن
يصنع ل الابتكار بالمرأة لنفسه ، حين مشارك فيها ولا مستريح إلى
ما يحكره بذلك لشركه من قبل . وهو في الحق لا يبر من الأنثيه
ولا يظ في هذه أطله عن المرأة ، ولكن الظاهر بينهما فيها أنها هي الرجل
خيه بوضتها وأرع الاخلاقي ، وهي في المرأة ظه تتحكم فيها المريرة ،
ولا تقوى عليها ورع الفكر والعمر

أما النظافة فليست هي من خصائص الأنثيه إلا لانصالتها بقرمها ،
وحب الطهوه في أعين الجنس الآخر . ولكن عن المريرة فيها أنها أصعب
على المرأة وأيسر على الرجل ، لأن مريرة تتكلف في سبل المطافه ما ييسر

من الضرورات المتكيفة عند الرجال ، لما يعمرون لها في وظائف العمل ، وعلوات الجسم المتكررة ، ولخلط الولادة ، ولوازم الحضانة وما إليها ، فهو ثم تكتل للظامة « قيمة خلقية » مفروضة عليها لإشراق الرجل على حياستها العامة وحباستها الخاصة ، لكن استقلالها بنفسها وثيقا أن يفسحها موضع الإحسان والاستئذان . ويوضح إلى هذه العنة في المرأة أنها أمير من الرجال على التريض ، لأنها أمر على الحضانة ، وأسير على أخلاط الصيد ، كما يرجع إليها بنحسها ينسج على إحسانها مخابر في طبيعتها لإحساس الرجال



وليس في أخلاق المرأة الممودة حتى أحسن بها والصلح ما وثقتها من هذه الثلاث للثبات . وهي أخص وأحسن والنظافة ، وممولها فيها — كما رأينا — على وهي النعم أو وهي الرجل — وأجدر أن يكون ذلك حيوسا في جملته فصحت انتي يشترك فيها الجنان مع اختلاف عظمها منها ، وو كانت من الملمات انتي تولاها الرجال عند التمدد ، ويتوولونها إلى ليوم ، كشجاعة القتال في ميادين الحروب ، فقد يوجد من النساء من هن متك في الشجاعة ، ويوجد من الرجال من هم متك في الجبن ، ولا يلقى ذلك أصل التسوية في نشأة الأخلاق وتعميمها ، فإذا نشأ الشفق وعم في العرف ، ثم يحتج أن يخلق به اتحاد الجنسين على تماثل في نصيب الرجال وقسماء

وجما به معراء في تقسيم الأخلاق بين الجنسين أن أساطير الخيال وروائع التاريخ تلقن بالبسطة ولساعة على هذا التقسيم . فقد جاء في أساطير اليونان القديمة خبر جبل من الأمم ينزل فيه النساء ، ويتدربين على القتال من طفولتين ، ولا يقبلن بينهن أزواجهن يعيشن معهن ، بك ياسين الأزواج ثم يقبلن عنهم ، ويستعين المسات من القرية ، ويقطن البنين أو يرتد بهم إلى أبائهم المسرومين . واسم هذا الجبل (الفرال) جبل الامرونيات وسبها مثير أذهاء ، لأن الأمازونات مشتقة من أصل إغريقي هو الكلمة اليونانية Amazones ، الحرفة نزل في هذا الجبل من النساء جرق سبه أو جرق

التي الأمن لتتمكن من تثبيت القوس في موضعه . وقصوى ذلك . هجرا من بدامة انطيسال . أن المرأة لا تحب هذه القوة وهي باقية على طبيعتها ، وتكتسب تخرج من هذه الطبيعة لكي تتشبه بالرجال وتخالله أحوال النساء .



ويبر حجه إلى مطابقة النتائج التي تؤول إليها الآراء في المستقبل ، نهرم بالمسواب فيها نعمة من دلالة الطبع ودلالة العنص ، فبهم صواب الحكمة المتوافقة التي أتيت للرجل حتى للتعلمة على المرأة في الإكراه ، و في الحياة الاجتماعية ، مما كل للمجتمع أن يصطلح على عرفه متبع فيه مع هذه العومة ، وهي دستور الأخلاق والآداب التي لا على عنها ولا طنقة للمرأة بولايتها ، وإن تسلمت مقاليد الحضانة عند تكوين الجنين

وقد عالجت مسألة الأخلاق الأنثوية في فصول متعددة من كتابا السابقة ، ألحقنا بهذا الفصل ما فيها من إباحات وشواهد متمة أو موافقة لشرح الكلام من قصية آراء في القرآن الكريم ، ومنها فصل بعنوان أخلاق آراء من كتاب « حمة الشجرة » يقتبس منه ما يلي :

« هذا القيس معينه هو القيس الذي يرجع إليه في اتفوقة بين أخلاق النساء . لما هو مردى روحى ، أو اختياري إرادى ، فهو أقرب إلى خلق الرجل . ركل ما هو نوعى حسدى أو كلى جبرى ، فهو أقرب إلى خلق المرأة ، فطوره على وحى العريضة أولا ثم على وحى القيم والمصير

« ولأخلاق التي يسو بها الإنسان إلى مرتبة النعمة والصاب أو مسود . الأدب والبرية والدين ، هي كما لا يحصى أخلاق تكلف وإراد ، وليست أخلاق إحصار ونسخ

« ومن هنا صرح أن يقال إن إمرأة كائن طبيعي وليست بالكائن الأخلاقي حتى ذلك المعنى الذي سدر به خلق الإنسان ولا يشترك فيه مع سائر الأحياء .»

« هناك الأخلاق الأول عند المرأة هو الاحتجار الجنسي الذي ألحنا إليه فيه تضم ، وهو من العريضة التي يشاوى فيها إنك الحيوان ، وليس من الإرادة التي تعتبر بها نوع لأنسان بنفسه

« فالمرأة تستعصم بالاختيار الجنسي ، لأن الطبيعة قد جعلتها جائزة
للسبق المفضل من الذكور ، هي تقتل حتى يسهلهم إليها من يستحقها
مقابلته تلبية يتساوى فيها الأثراء والافتقار
« كذلك تمنع إنداء الدجاج وهي تنتظر ختام المعركة بين الذبكة أو تنظر
مشيقتها بعين هراع »

« وكذلك تمنع الهرة وهي تعرض للحد وبعد أمامه يلحق بها ،
وتمنع المسمورة وهي تقصر من مروع إلى مروع ليحركها السرور السريع
وتمنع النحلة والفرس والأتان ، وهي مضطرة إلى الاحتجاز لأنه يحكم
بقدر الذي فرضته عليها وظفت الأعضاء
« والبعوض معيد جدا بين هذا الاحتجاز الجنسي وبين خصية الحياء التي
تتمد من مسائل الأخلاق الجنسية .. »

« فالحياء مفاضلة بين ما نحن وما لا يحسن ، وبين ما يليق وما لا يليق ،
وما هو أعلى وما هو أدنى »

« والاحتجاز الجنسي غريزة عامة بين الإناث ترجع إلى الفهر والاجبور ،
كلنا به كان التنازل بينها في درجة انقور والاجبور . »

« وحتى بلغ هذا الاحتجاز الجنسي مبلغه الذي قصرت إليه الطبيعة ،
فقد بلغت الأخلاق الأنثوية عايتها ، ولم يبق منها ما يلتبس بالحياء في ضروره
ولا في مساء »

« ومن مسائل اللطم أن يحظر على الرجال أن الحياء صفة أنثوية ، وأن
النساء أشد استحياء من الرجال ، فالواقع - كما لاحظ شوسهور - أن
المرأة لا تعرف الحياء بمزول عن تلك الغريزة العامة ، وأن الرجال يستمون
حيث لا يستحي النساء ، فيستقرون في الحميمات العامة ، ولا تستتر المرأة
مع امرأة إلا كتيب جدتي تزاربه »



« ولم يكن عمر بن أبي ربيعة مبالغ حين قال إنه الوجه يروها الحسن
أن تنفع - بل هو ذو نساء لرجال عن الأجسام ما قال عن الوجه (١) فلا تتر
الأنثى البطورية شيئا يمكنها أن تصحب ، إذا كان عرضة معلقة للنظر
(١) فقد ذهب في ذلك عن هذا الموضع ، فذكر في بعض النسخ -

والاستحسان .. ومن شهد الحميمات العامة على شواطئ البحر رأى كيف
تتملك الأكسبات الرغارف اسبسية ، ليليدو للأنظار ما استقر من محاسن
الأجسام .. »

« فالخلق الذي تنحى به الحواء بدنة هو خلق الغريزة الذي يوشك
أن يشمل إناث الحيوان »

« وكل حق « إرادى » يتحقق به بعد ذلك فهو فريضة عليها من
الرجل ، فتدبرهم معه على دين الحفاكة والبطونة ، سواء فهمت أو جهلت
كنهه وعرفه .. وبعد يكثر في النساء من يتقيدن بالمعرف القديم لأن
يوم العرف القديم عادات ومصطلحات هي أقرب إلى العريضة ذليلة
من مسائل اللطم والإرادة ، ويكثر بينهن جدا من تتحدى المرف بمفضلة
واحدة من مسائل الأخير »

« جرى حديث مقبل في مجلس يمس دهل من الرجال وانتمساء على
قسط شائع من التميم والاداب الحشية ، فانسق الحديث إلى
بذرة رجل يجوز الحميم دأع عنه أنه يستدريج أغنيات العريضة إلى
داره فينبو نو ويظهر معهن في الحميمات العامة ، ويدفعهن إلى سهرات
العبث والمجون .. فكان النساء أقل من حضر المجلس اشمئزاز من سهره
ذلك انطباع . كأنهن لا يريدن نقصا في رجل من الرجال بعد أن تكمل له
ذلك الحقولة لصواني ، أو كأنهن لا يصدقن أن الفتيات المبررات يستمن
في ذراعهن محووعات مغلوطة على حشيتن ولكنهن راسيات ضرورات بهما
أتيح لهن من قدر المتعة والانتهاج »

« وكل ما بدأ عين بعد ذلك من الاشمئزاز فقد سرى إليهن مستحيرا
مع كل ساطع من الرجال . فقص كانوا في هذا الحميم الخالص كذب
كانوا في المجتمع العام كله « مصدر المصطبات على قصد قولهم « في لغة
المنسافرين »

« ومتى سقط سلطان الرجال في الأمة سقط معه سلطان الأخلاق سواء
منها أخلاق العرف أو أخلاق الإباحة .. »

« فالأهم المعروفة بنسبها فيها طوائف من النساء يحزن بمعدنة

الجود للساكنين ، ولا يكرهين أنهم غافلون الإهوية والازواج والآباء ، لأن المصروع لعمدة العمة بطبيعة الأثرثة الفطرية أو الميراثية من جميع هذه الأواخر والآداب ..

« والمبرة التي تستفاد من هذه الحقيقة أن النساء يكرن إلى الفطرة في أخلاق الفرائز والمعاداة ، ولكن لا يسمح أن يتركن في الأخلاق الأخرى — أخلاق الإرادة والصبر — بنسب إيتاء شديد ، بل إكراه يتجاوز حدود الإيتاء »

« والفريزة القاهرة تعمل محتاسن لمواهب كمال تفكك ففائسها ، فتمتد لها الفخر بين يدي لطيفة ، إلى لم تمتد لها بين يدي القانون ولا أخلاق ..

« ما التصحية هي أسمي ففائسك لإس »

« وهي ففائس لا يتقدم عبيها المرء كل يوم ، ولا يتقدم عبيها منير دافع شديد من وهي انقده أو من وهي السمر »

« ولكن من وهي الفطرة أعم وأنفذ من وهي الصبر ، لأن مسلمان التكم وللهم عيق القرائل بواضع النفوس »

« ومن سم كانت المرأة اقرب من الرجل إلى التصحية في وظائفها الفرعية ، لأنها تستمد تضعها من غرائز الأمومة ، وتموت في سبيل الذرية ، كما تموت بعض إناث الحيوان » ولا تسهل التصحية على الرجل هذه السبوة إلا إذا ارتقى نفسه وهي الصبر إلى مرتبة ادواع الفصومة المودعة منذ الإزل في غرائز الأحياء ، وتلك مرتبة يسر بلوعها على أبناء آدم فلا تزال معقدة فيهم من فصائل الأنبياء وأنبياء الأنبياء أو كما قال ابن الرومي »

« عزير بلوغ حاتيك جدا تلك عكبا مراتب الحميب »

« وإنما يقدم الرجل على التصحية في جمل أعماله العمة بخيرزة أخرى معروبة في طبيعه انشوع ولكنها أحدث وأقرب إلى الإرادة وهي خيرزة الفطرية التي تنبأت مع أخلاق الاحدية ، ولم تشأ بداعة مع »

الولادة كما شلت العواثر الإنسانية في جميع إناث الأخصاء • فإذا تصدى الرجل القتال في الجيش أو الحكيمة ، تعبرك بإرادة الفطرية كله وتخط بها على احرف وجب السلامة • ولحقه قد ينشرد بالتصحية التي يدعها إليها وهي الصبر ، فسلو على فصائل الأنواع والجماعات ، ويمسح بروحه صدا في طراز رفيع من الفصائل : هو لفصل الأفراد الأفراد



والمرنر المتفتحة التي تطل على محاسن المرأة تعمل لها بقائسها التي تعاب عليها من بعض جهاتها • وقد لخصها المتفتحة ، لخص كل ما قبل في مساهم حيث تال

« فمن عهدا ألا يدوم لها عهد »

« لمي تتقلب وترتفع وترأى وتكذب وتحزن وتميل مع الهوى وتبني في شفه وحده عشرة السبي الطوال » وهي موصوفة إلى ذلك بالفطرة للصحية التي حلت فيها فصل نشأة الآداب الاحصاة والآداب الدينية بالوفاء اسئى • فقد أغرمها لمررة اجسدية مايل إلى الأقدر والأكمل من الرجال تتجنب لتعالم أسس الألباء من أحسن لأباء »

« نلهم يكن معا يوافق هذه الفطرة في الصور الصحيحة أن نجهد الجهد رجل واحد ومن حربها رجال كثيرين يتدشرون عليها ، وقد يلبس أحدهم ربحها لادى تحفظ له العهد لو يطالبه بحفظه »

« وكلفت الحرب في سداة أخصاء الإنسانية هي مفاسد انفسدة والرجس بين الرجال ، في قبيحتهم أو في جميع القسائل لمحيه بها ، فكان من شأن المولة أن تسلم بظافر بعد فظفر ، وشجاع يود شجاع ، كلما عأرت رضى الحرب بين غالب ومملوب ، وبين الشجاع القوي ومن هو أشجع منه وأقوى »

« ثم اصبح المال مقبدر القدره والرجس من الرجال • وكان مقاياسا محض في الصور الغائرة ، وفال كذلك الرفا من المسكين ، لأنهم كانوا يكسبون المال عيه في حومه الحرة ، أو ربحا من أرباح التجارة التي تهجم أصحابها »

في مجادل الأرمس ، وتوديعهم لأخطار القتل والاستلاب ، وتلجئهم إلى الحياة تارة وإلى الحول تارات ، وتشهد لهم بمقتضى القدوة والرجحان عن جدارة واحدة شتى المرأة من التفكير ، وهي لا تمتد كثيرا إلى التفكير قبل الاختيار .



قلنا في الفصل الذي طءاه على رأى المعرى في امرأة من تكتاد المطامات « والذى يقوله لى عنه وحده أن لواء ودية مدله وبه الحياة لا لهذا الرجل أو لذاك ، وهادئة في الحب لا في إرضاء أهواء من تعب ، ولو أنشأ النظر سريعا أن المرأة تعون نفسها كما تعون الرجال في سبيل الأمانة للصيانة ، وتكذب على نفسها كما تكذب على محبوبها في ميلاء عهد الحب ، فهي وغيا ما فطرة رغبته أم لم توص ، وهي صادقة بالألغام حيث أرادت وحيث لا تريد . »

إلى أن قلنا : « تعب المرأة للشباب ومن ذا الذى لا يحب الشباب ؟ بل الب : « حقة لخلود وروح من روح الله . تصور الأخفون الآله فلم يفرقوا بينهم وبين الشباب ، واستحو عليهم كماء سمردي من نسجه ، وبهاء مجد من صفة ، فسمورا منهم بأن الشباب مع الحياة العادة ، وروح المسمى الأتمية وترجيها تغير الشباب على شره وتخلقه على عيوبه . »



د . ثم تعب المرأة المثل ومن ذا الذى يكره المال ؟ لغير أنه قد نرى للمرأة منذ غير سنين لأسباب أنسى معنى محبة المال ولعظم أضراره . ترى أن كسب المال كان ولا يزال أسهل مسار لاختيار قوة الرجل وهيبته ، ولدى التفرع إلى اجتذاب القنوب والأخطار وجتلاب الأضباب والأكهار . فليس كان أعنى لرجال في القرون الأولى أقدرهم على الاستلاب ، وأجرامهم على العنارت ، وأضماهم أنس ، وأزعم جار . وكان الحب قرين لشجاعته والثوة والحيية ، وغرانا على صفات الرجولة المحبة إلى النساء ، أو التي يجب أن تكون محبة للنهن . ثم تضم الزمن فكان أعنى الرجال أمبرم على حبس الشوق وتجم الأخطار والتمرس بأهوال البقر وحول الاغراب وأقدرهم على ضبط النفس وهسن التدبير . مكان المسمى في هذا العصر تمرى

النساعة أيعا وقوة الازددة وهو اللمة ومعوية المراس . ثم تضم الزمن فصار أعنى الرجال أيعدهم نظرا وأرسمهم حيلة ، وأكثرهم خلتا ، وأملهم على المتسيرة وأجدهم على مباشرة الحياة ومطالبة الناس ، فكان العنى في هذا العصر قرين الثبات واشتراط ومتانة الخلق وحوده النظر في الأمور .

« كان هذا كله في العصور الأولى قبل تشعب الحياة الاجتماعية ، وتعدد المكات والصفات التي تكن الرجلان والتقدم لرجال

« ثم تحدث هذه المكات والصفات ففلم في طبيعة المرأة « برج بابل » مفيد من اختلاط الأموات والدعوات

كان رجس الرجل بسيط المظهر ، وكانت فطرة المرأة البسيطة قادرة على تصيرون معين لإدراك الفكر ولا طاعة لاروية . »

ثم تشتت المكات والصفات ، ووجد في العالم رجال متنازرون بأكبر الحزب ، وليس للمرأة من فطرتها البسيطة معين على تقدير مزاياهم وعرفان أقدارهم والفرصح بينهم وبين من دونهم من أمجاف المزايا الفطرية التي تتكشف سطوره الأوسى ولا مخرج إلى انعام نظر أو مؤامرة بين أنواع والشكال رجل الحرب الذي يظهر بالثوة والقدوة ، ورجل المال الذي يكسب بالثوة والقدوة ، وتلاهما مقبوم وانصح حكشوف على خواهر الاختباء . »

ثم انقضت الحرب من التسمجة في بعض المواقف ، وانفصل المال من القدوة أوبحة في كثير من المواقف . فأغنى السلاح والكثرة ما لا تنفيه النساعة ، ولتب المال بالأسباب والفنعة وخدمة الثنويات . « فهذا هو برج بابل الذي لا تدرى المرأة فيه من تسمع ومن تعيب ، والذي تعار فيه قبل التمييز والتفضل ، وقد كانت قبل ذلك لا تحار في تصير أو تفصيل . »

وراد يزوج من طمقة على طمقته الكثيرة أن الآداب الاجتماعية وآداب الأسرة ظهرت بين الناس ، وفرضت على المرأة أدبا جديدا غير الأدب القديم ، ادبا يتناسب بالوواء والأمانة ومطالبة الميول إذا تفضل من حولها الرجال . براد في الحياة واستد وبم يضيق مآثره في نظرة امرأة معين على التصير والإحصاء ، لا ما تقتضيه بالقديم واللقين والإبهاء وهو صبيح محدود لا يقوم لأيداء لفطره القديم إذا اشهر النزاع واضلرت الأهواء .

لانتقاس النساء أقساماً شتى في الأخلاق الفطرية والأخلاق الاجتماعية :
تقسم مع الفطرة القديمة وقسم مع الأدب الجديد ، بل أصبحت كل امرأة مجالاً
لعدد هذه التقسيم تبعاً مع حفاً أو ذلك كلما مالت به دواعيه

فلنحذر إذ نقول إن المرأة تطيع أنوار الجسدية في التقلب والمراوغة وخيانة
الزعماء ، لا نقول ذلك لنعذرنا بل المحر ، أو لسقط عنها واجب التقلب على
هذه الميول التي تميزت وجهاتها مع الزمن ، ولا نزال عريضة لتكثير من القوم ،
من الأخلاق لم تجعل لايقاء الفطرة على عيوبها ، وإنما جعلت تهديد تلك
العيوب ورباعيتها ونسب أن النفس مائل لأداسة التي تصبها على عيوبها .
ولكننا نقول ما نقول نذكر بدا أن فهم المراتب الحسية ضروري لفهم الأخلاق
التي تتصل بها ، فلا غائز من البحث في ربايتها بالأدب الاجتماعي ، قبل
البحث قبل يعللها من أصول الفطرة التي بعد جميع الأجيال ، ليس عمومها
مع جميع الأصناف يمنع من إصلاحها ببرنامجها والتكوين ، بل هو الذي يسوغ
لك الإصلاح ويوجهه ومشرعها ، لأن الإنسان قد علا فوق سائر الأحياء ،
ومن الواجب إذن - ومن استطاع أيضاً - أن يمس موقفاً بالأدب والأخلاق
ومن مناقشات المصور المتأخرة أن يجمع بينها طائفة من الدعاة وأصحاب
الآراء يستعملون بالاحتجاز لجسدي الذي كان عصام امرأة من جماع الأهواء
ربما طويلاً ، ويستغلون معه بما عد . من الحواجز الجسدية المعروسة
في طباع الأحياء ، لأنها في رأيهم بقية لا ضرورة لها من بيئتها المنيعة
الحيوانية الأولى

نعمهم مثلاً من حرية المرأة في العصر الحديث نبيح بها ما حرم عليها
في قمعور القديمة ، فلا حياء أن تبدأ العزل للوجل وتلاصقه لتستولي
عليه . كأنما كان تركب الصمم الأصيب في الأبوثة والذكورة مسألة من مسائل
الحيات التي يذهب بها نظام ويأتي نظام ويبرمها قائلون ، ويتكفها قائلون . .
وعندهم أن الحيوانات لم تقتصر على موسم واحد في التناسل إلا لأنها
تضيق من الظلم في هذا الموسم ، فتقتل أجسادهم بقيم من التزود
الحيوية يدعوا إلى ملحة لدرية

ونيس أجد بأسرار الحياة - ومن الجنس أكبر أسرار الحياة - من

يقنع في تغيرها وردها إلى أصولها بمثل هذا التعليل انقريب . . فإن هذا
التعليل انقريب لا يكتفى على لأقل لتفسير الظاهرة التي أشار إليها أولئك
الدعاة . إذ إن اشهرات النباتات تتوالد في موسم معين ، وهي لمدها
الذي مسمد عنه أكلاف الشب من الصوان ، وهي رجت قوة التوالد
في النبات فاعزى أن تزيد قوة التوالد في الأحياء فغير ذلك السبب الذي
ذكره وعكوه بزيادة اشهرات

ومن الصوان ما يستمد على للموم من الشب ويأكل منها حوال السام ،
رمتها الأسماك التي لا مواسم عده للنبات وهي مع هذا تعرف لها موسم
ستتسل ، تخرج إلى الأنهار لنفصة قبل لأوان الملائم للقاح من خرائيم
الذكورة والأنثى

وهذا تارة الأواند والدوجن في موسم التناسد ولكنها على التمهيم
لا تشارك الأشي بمد حبها ، ولا تستخربرة النوع لمدة الأفراد ، فالسر
أعني مما ظنوا بكتير

وحويز أنفوس ودواعيه لا تفسر كلها بأعمال ذلك السطيل البويل
ومما لا تك فيه أن الأخلاق الجسدية كسائر الأخلاق ، هو مه سبط
المنس وهم لا يوافق أهداف مع الهوى حينها ترمص المرأة للاستواء ، ولا بد
من سبط انفس ، والقصور على الامتناع لتحقيق كل خلق كريم يصح للأفراد
لو للمواظم أو للأبواع . .

والأمن أهوج إلى الحواجز الجسدية من الصوان ، وليس يأتي منه
عن تلك الحواجز تقدم مع الحرية كما يفيل إلى أولئك الثرثرة السطحيين .

فالحجوان يشابه ويتماثل ويصحب ، لتفريق بين أفراد في الصفات المشتركة
في مسألة اموع ظه . فلا حياء على النوع أن يتلقى أي فكر بأي أنش أو منتها
أفعالها من الذكور والإناث

لكن لأكواع ظلم أرهنت صمدت الصفات التي يكل بها الفرد ذكراً
كان أو أنثى . وينبغ تمتد الصفات أقصاه في انوع الانساني ، سواء بين
الذكور أو بين الإناث . حتى ليكاد الفرق بين رجل ورجل ، وانفرق بين امرأة
 وامرأة طلع بالفرق بين تقيمين أو محاولين من يومين محققين

طيف كل رجل بديلا من كل رجل ، وليست كل امرأة بديلا من كل امرأة •
ويص على الرجل إذن أن يمتنع حتى تتساح له المرأة التي تلائمه ، وعلى المرأة
أن تمتنع حتى يتساح لها الرجل الذي يلائمها .

ويجب أن يتعلق الأمر « بالثخمية » المعيرة لا بمجرد امرأة كذا
ما كانت أو بمجرد رجل كذا ، كما يسعى كل فرد عن مثيله في الأنواع
الوضيعة بين الأحياء .

« وفي هذه الحالة لا ينتج النوع بحد ذاته اتصال تحقق به لجنة الجنسية ،
بل يدفع الاتصال الذي تتم به للتخصيم وتوافر فيه قسم صفات الرجال
وانتم صلب النساء .

« ثم تنبأ الآداب الاجتماعية وحقوق الأسرة وأمانة السن ، فإذ هي
قد أثرت الرجال ونساء آدانا من هتف أن تطاع وأن يعصب لها أوق
صليب ••

« نعم إن هذه الآداب الصناعية أو المدنية من أحكام البيئة التي خلقها
الناس • ولتتها • كصنع الآداب والفروس - تستند إلى أساس مطري
عريق في الطبيعة ، وهو ضغط النفس ، وقوة العينة على مقاومة النوازع
والأهواء ••

ونصرت لذلك مثلا ممبا من المعرجات التي جاءت بها الآداب الحديثة
أو العرقية بعد ظهورها في المجتمعات الإنسانية فإن بحرم القمار أو الخمر
أو البرقة لم يعرف في آداب الناس إلا بعد ظهور هذه الآداب ، ولكن
صط نفس الذي يسلط ما الامتناع عنها ، هو خلقه طبيعي لم تنشأ
مع العرب أو الاصطلاح - فلا يزال الفرق بين التمان بتخليع أن يمتنع عنها ،
وإسفل لا يستطيع الامتناع ، فرقا في معيم اسكون لدى لا يشك العرف ،
ولا يذهب إلى الأوضاع الصناعية

وبذلك الحواجز الجنسية التي يفرضها المجتمع ، أو بوجها مصدرة
الأمير ، هي جزء لازمة ، لا يقدح في أساسها أنها حدثت بعد حدوث
الحاج إليها ، لأن مقدرة عنها قسيلة من مسائل البكون الأميد

« والرجل الذي يسحر عليها هو رجل مختار في خلقه الطسعة كالمرأة
التي تسحر فيها • وكلاهما زوج أصلح من غيره للمتع وأجبه الأنساء
« فأخذ السعد أن يظن ما يحفره المرأة أهد رمة تبيع التهايت
على الحمة وسنان الحواجز الصسية •• لأن التهايت بقص في لخلقته قسم
أن يكون نقصا في الآداب الاجتماعية وهذا النقص مسب وحيه يعنى ،
وإن لم تحرم الآداب ••

« وسيمول التقدير والتحميل في العرف والتتبع واثمائل المصوبه بين
اساس كلما تطوت الأصيل • وسبقول كل ذي رأى قوله الذي يجوز منه
الجدال • ويبقى حكم واحد لا تنبيه له ، وتول واحد لا يحور ابدال
ففيه ، وهو أن الاحتجاز في أخلاق الأنوثة ، وإن لم أراه أنى نساء هي حيا
بقص في تكويه ، ويسمى تشارى القول فيها إنسا فرد مقصر في حقون
المتعم ولأمره • وإن مساك الأخلاق جميعا - ما أوجب لظنه وما أوجه
الحصم - هو صط النفس ، والرفع عن مطاوعة كل عارضة من عولرض
الامر ••

وقد سبقت في عهد الكتاب « المرأة في القرآن الكريم » نده عن
التاقت في الرأه لطبيعة والمرأه الاجتماعية ، وهو بحث نه اسطراد يماسيه
في الكتم على تناقص المرأة من كتاب « مسده الشجرة » ختماء به يلي

« هي أدا من بقص في أمومتها وفي حياء ، وذلك هو لتناقص الذي
لا حياء لها فيه ، ولا بقصا الرجال منها إلا كما يلحظها هي على غير
ما تنتظر ، ولدى غير ما يقع بها في تدبير

« فمن خطأ أن يرد على خاطر أن النقص من هذه المرأة وتبديرها ،
أو من حثها وخداعها ، فهي محدودة ما تبين أن تخضع سواها ، وهي في قسمته
فريسة لا ملاك ما تريد

« ولا بد من التماس في طبع الأنثى ، لأنها لتخصية حسنة خصصة
للمؤثرات التي تتدويرها من عدة جهات ، وهي كما أسلفنا في الفصل السابق
مستجيبة لآثر الحصر ، وقد تبده الآثار لخاصة من كل صوب ، لا من
صوب واحد

والمرأة من جهة ثانية عفر في نبذة لصناعة هي لأمة أو المنتنة
أو للنبيلة ، فهي هنا زوج أو بنت أو أخت أو صاحبه عمل تجميعها بطلب
النسب الاجتماعية صلة العف أو التزويج
« والمرأة من جهة عر هذه وتلك أنثى ، لها تركيب حيوى يرسلها
بمخلوق آخر لا يتم وجودها بغيره

« والمرأة من جهة أخرى أم تحب أبناءها بتفويده و لألفة وتصور
في سبلهم على مشقات وآلام يؤدها السهر عليها في غير هذه السبل
« وهي بعد هذا كله كائن حي من حيث هي وليدة الحياة في حبسها ،
أي كائن النوع اندي تنتمي إليه ، والأمة التي تعيش بينها والملاقة التي
تجمعها بالروح أو العاشق أو لأهل أو لغيره »

وقد تختلف عليها هذه الوجهات حسب ملا مقر لها من المتكلم
مهم . لأن هذا الفرد المستقل ، ولأنثى لغيره ، والألم التي تنبئ بها
في حبسها ، والكائن الاجتماعي الذي يربى على عادات تعرف ولغيره ، أو عدو
حي حتى تهره الحياة هذه النوازع كما يهره سعادته كل أولئك محنة
ويتناقص لا محالة ، ولا يتأتى التوفيق بينه إلا في المدة المدة »

« وما حث مثلا مرد يريد مسرته الفردية أن يستقل من جميع الآخرين
الأخرين ، سواء كانوا من لآباء أو الأمهات أو الأزواج فلا يلبث أن يستقر فيه
هذا الشعور الطبيعي ، حتى يذوقه فيه شعور الأنثى التي تريد أن تكون
إلى رجل تهاوى ، وقد ينازع شعور من أكثر من شعورين ، « محبات
الصقابة التي يمنة به من الرجال وتكون منهم على نحو مفضل لأمة
ويشتت الأهر »

« ولا تلبث أن تنسى استقلالها الفردى ، وتطاول نزعته الأنوية ،
حتى يبرز لب المجتمع يحكمه بحكم الاختيار والتجميع ، فيقوده
إلى الحياء والمال وهي تعبد إلى المتعة والجمال ، أو يلزمها الرضا للزوج
وهي تنتم إلى رجل آخر بقرة الأنثى التي سبقت بفطرتها نواحين الأم
وقواعد الآداب ، ولا تلبث أن تحال على هذه النوازع أو هذه النوازع
حتى يلبسها حلو الأمانة ليربها يمكن لا ترد النساء فيه ، أو يدهم

الكائن الحي في نسب بنسبة لا تلعب ماضيا غير مواث الحياة ، يعمل من
نوبة الأنثى ونابذ المحتج ونزلة الرحم »

« فلا عيب في هذا التناقض ولا مباينة فيه للمعقول ، ثم يضاف إليه
تناقض آخر يرجع إلى تعدد الدواعي في كل صفة من الصفات التي أثرت
إليها ..

« وبكثير من هذه واحدة على سبيل التمثيل ، لأن شرح الصفات جميعها
في تعددها وتباينها من وراء الحصر والاختصاص

« وهؤلاء في صفة لأمانة - وهي تنمى إلى الذكورة - تصب الرجس
الكريم ، لأنه يهرها ماضية ، ويويحها من شدة العيش ، وبطعمها بالزينة
التي تهينها ويرمى كبرياءها بين نظراتها ، فضلا عما في لكرم من جسي المظنة
و لاقتدار

« ولكنك قد ترى هذه امرأة يلبسها تملأ سحر لا ينفق ماله على
ريشة أو عناق ، فهي هي مناقضة طبيعتها في هذا لانحراف المحب »
كلاهما هي لا تفتن صفة الكبرياء نفسها التي ترهبها على كرم الكريم

لأن المرأة يجرح كبرياءها أن ترى رجلا يستكثر المال في سبل
موصاتها ، وهي جرحت امرأة في كبرياءها أقبلت باهتمامها رجليها وعوايتها
من حيث أصابها ذلك الجرح الكثير وليس أقرب من تحول الاهتمام إلى التعلق
في حبس القلب

« فالنوع الواحد قد تكون سبلا إلى استقصى في طهر الأعمال ،
ولكنها تقيس لا تلبس أن يتفقا ومتوحدا عند المنح الأميب على
عرفها كيف تنقش سورة إليه ..

« وكلما تكررت تناقض المرأة وجب ألا تنسى مصدر آخر لتناقض
في أخلاق النساء يفسر لنا كثير من تناقضهن ، حينما توفد شيئا من المرأة
واسفرت التجديع عن سواء

« ذلك المند هو درجات الأمانة وأطوارها بين الظهور والصور ..
« فالأمانة صمت كثيرة لا تصنع في كل امرأة ولا تتصور على نحو واحد
في جميع النساء

« مليت كل امرأة أنثى من مسوح رأسها إلى الخمص قدمها ، أو أنثى هامة في المائة كما يصفون الأوربيون ، بل ربما كانت فيها قوازع الإثونة ونوازع غيرها إلى الحكوة ، وربما كانت أدولتها رجلا بقوة الرجل الذي يظهرها فلا تشبهه مع صبيح الرجل . وربما كانت في بعض عوارضها الشمرية وما شابهها من عوارض الحمد والولادة القرب إلى الإثونة الصلبة ، أو القرب إلى الذكورة الصلبة . وقد كانوا فيما مضى يسمون هذا الفراخ بـ الذكور والإثونة صربا من كلام البحار ، فأصبح اليوم خنثى طعمة من خنثائق الدلاي ، وفصلا مدروسا من حصول عم الأمثلة ووسائلها الأفضة . »

« وليس التناقض لهذا السبب مقصودا على النساء دون الرجال ، فإن الرجل أيضا يصدق طبيا فيصدق على المرأة من تفلوت درجات الرجولة ، إذ ليس كل رجل ذكرا من سرح رأسه إلى الخمص قصبة ، أو ذكرا مائة في المائة كما يقال في اصطلاح الأوربيين ، ولكن التناقض لهذا السبب يصدق في امرأة أخرى وأكثر ، لا متراجة بأسباب التناقض الأخرى ومحاولة الرجل أن يفهمها على استقامه المنطق كدائه في فهم جميع الأمور . »

« ولا ريب أن الشخصية الإنسانية » في حال الذكورة والإثونة عرضة لكثير من التناقضات الجديدة يقول : عقول الرجال وعقول النساء . « وكما يقول النساء من تناقض الرجال ولا يظعن المسال ؟ كم يظن إن الرجل « كالمسح المالح لا يصرف له صماء من حاج ؟ » وكم يظن إن فلانا كثير أمشير لا تفري حتى تهد فيه الأعلمير ؟ وكم تقول إحداهن للأخرى : « حبيبك في ليك مقرب في ذلك ؟ » وكم لمن من أمثال هذه الأمثال بما لا يهمل به الرجال . »

« إذن لا يفتن بمقارنات الرجل من طريق المهيم كما يفتن بمقارنته من طريق التاكيد ، ولم حاول فيك كيف يحدون التأثير فيه ، لفرجه به لفرأ من الكعاب وأعوبة من أحبيب البطار في عديم الأمطار « ناشخصية » كلمة واحدة في اللب ، فكنا مضطرب أممنا أنفطأ إذا تصورناها شيئا واحدا فكيف تطوى تحت عنوان واحد ، إذ هي أشياء لا تحصى من

الفرائل والامدارك والأخصيس وعلاقات لمجاوبة ببلهم وبين العالم الذي تعيش فيه ، وهي بهذا انطيط الوسم في حركة دائمة لا تقطر على وجهة واحدة برقة من الزمن ، ولا تمهدا في الصحة ولا في الشيب كما تمهدا في أسمر من لون الهرم ، ولا تصدر فيها الفضة الواحدة من مسحر واحد في جميع الأوقات والأحوال . »

« فهي تختلف بين حلة وحلة ، وتختلف بين من ومن ، وتختلف على حسب الملة بينها وبين هذا الإنسان وذلك الإنسان . » وتختلف على حسب أملاك والمواعث التي تحركها إلى الأعمال . »

« وأما كارجيل « شخصية إنسانية » تفرم من لتناقض من جراء هذا التعدد وهذا التقلب في عناصر كبد « شخصية » تحمل عواوا واحدا ، وتحتل طرشتي المعاصر التي لا يقصر لها ضرر . »

« ولكننا انحدرب بأسبابها المتصورة عليها ، وامحدرب مراقبة الرجل إليها ، ومحدوة القويص بين خولها وحدوانها . »

« وعندما في فهم هذه الأسباب المتصورة عليها خائنان تصعب فهم التناقض فلا يضمن كما يحتي تناقض الرجل على النظرة الأولى . » وإحدى هاتين الصائتين طبعة المروعة التي وصلن بها إذ « يضمن ومن أراعت . »

« والأخرى طبيعة الاستعراق في الساه التي هي فيها ، وسيلان ما قبلها وما بعدها ، فيبلغ العجب أنسده من يأنثي أن ير ما يستل بين أطوارها ، فكيف يتصل لمثل بين أدوارها ولا يظن سبب أو لا يستغنى من سرائرها بل في توانيها . »

« فمن المضحك أن الرجل إذا قضى يوما أو أسبوعا في حدة اسم من الإسماء - ولا سيما بداء الحاجة - أعطى فيسبق به قسائه في حبة أخرى لا يود أن يذكر فيها ، بل لعله يود أن يكتفه ولا يوهي إليه . »

« وقدما نشاهد هذا في محادثات المرأة ، ولو تلاهقت في ساعة وساعة ، لأن الساعة التي هي لها تستولى عليها فلا يرى سببها بالإنارة

إلى غيرها ، ولكنها تشتمع حب طبعين أصيلين فيها ، وهما طبيعة
الانفاق وطبيعة الاسترقاق



« ولم يرل التناقض ما من أبواب الحيرة واختلال الصمم ، ولكن
التناقض لدى يفهم سببه يربح من الحرية على الأكل عند البحث عنه
والتمكيد فيه ، وإن لم تكن به راحة من معناه البقاعن وإبتلاء متاعها ،
ولا عت ل معظما على المرأة ، لأنها لا تصدها كلها لجات إليها ، وقد
تكون من تسحية من سطايا »

الفصل الخامس

مكانة المرأة

ربما نالت العفورة المصرية القديمة هي الحضارة الراجعة التي خربت
المرأة « مرعرا شرعيا » تعترف به الدولة والأمة ، وتكفل به حقوقا
في الأسرة والجميع ، تحسه حقوق الرخص فيها ، ولا تتوقف على حسن
أبنة من حسن الآباء والأبناء والأقربين .

لهم الحضارات الأخرى فكل ما نالتته نساءها من مكانة مرضية ،
فإنما كانت مدله مبدعت من بواعث العاطفة على خاليتها من حميد وحميم

كانت تلال المحنة من بينها معاطفة الأمومة التي تحسها النساء بحس
أصواتهم ، ريم الإحسان بها طوئف من الإغصاء لم تبلغ مبلغ الإنسان
من «لنهم والطق » ولم يكن بها عرف أدبي في حياتها الاجتماعية ، وقد
يبدو هذا الإحساس في حيوان الأعجم على صورة تلمت النظر إليه
وبجعلها دوو لنصرة الفطنة ريرا للأمومة في أجمل مظاهرها الفصيرة ،
كما صمغ بصور المسيح « هـ - و - حاميذ » له صورة « الفرس والجمرة »
التي صاف « الأمومة » وختارها من بين مظاهر المواطف الحيوانية
التي لا تحمي تمثيل هذا المعنى والرمز إليه ، بالأشكال المنظورة .

ربما نلت المرأة حينا من الاهتمام بها في عصور الترف والبذخ ، التي
تنهى إليها الحضارات الكبرى ، وهي لا تتل هذا الحظ من الاهتمام
لنقدم الحضارة وأرتقاء الشعور بين أصحاب تلك الحضارات ، ولكنها تتاله
لأنهم - في عصور الترف والبذخ - مطلب من مطلب الخمة والرجامة
الاجتماعية ، وقد نالت هذا الحظ من الاهتمام في أوج الحضارة الرومانية
مع نقائهم قنونا وعرفا في مزله تغارب منزله الرقيق من وجهة الحقوق
للشريعة والحضرة لأدبيته ، وكان استبيان وأنجواى الطليقات يفلن من
ذلك الاهتمام أصعافه من تلاله حضرات النساء من الأرواح والأقرباء ،
ووضع هذه الفارق في المساحة بين العرائر والحواري الطليقات وأنسابهن ،

من تسوة الإنكية وهو الملام في كل حاكمه كلمة من من حواضر اليهود
والرومان والبلدان الشرقية

وبين هذا الاختصاص الذي تنقله المرأة بفصل عواطف الأمومة ، أو بإعواء
لجنة والترف ، مكانة « شرعية أو عرقية » سبب إلى أدلة المجتمع ونواحيه ،
بغضه ما فيها أنها شعور بتقارب فيه الأضواء من الناطقين وغير
ساكنين

أما المسكاة التي تعصب من عمل الآداب والشرائع أو الحضارات فقد
كانت معدومة في عموم الحضارة الأولى جميعاً ، ما خلا حضارة واحدة
هي الحضارة المصرية .

فشرعة « مانو » في الهند لم تكن ثمرة امرأة حقاً مستقلة عن حق
أيها أو زوجها أو ولدها ، حالة وفاة الأب ، الروح ، قد انقطع هؤلاء
جميعاً وحسب أن تنتمي إلى رجل من أقارب زوجها في السبب ولم تستقل
بأمر نفسها في حالة من الأحوال ، وأشد من كبر عتقها في معاملات
المعيشة تذكر حقها في الحياة المستقلة عن حياة الزوج ، ملجأ مقصود عليها
بأن تموت يوم موت زوجها ، وأن تحرق معه على موقد واحد ، وقد
دامت هذه العادة المتبعة من أبعاد عصور الحضارة البربرية إلى القرن
السابع عشر ، وبطلت بمقدار ملك على كبره من لمصنوع الشرائع الدينية ،
وشريعة هيرامي التي اشتهرت بها باب كانت تخصها في عداد المائيه
الموتوة ، ويدل على عية مداها في تقدير مكانة الأسرى ، أنها كانت تفرس
على من قتل بنت لرجل آخر أن يسلمه بنته بيقظها أو يملكها إذا شاء أن
يسفر عنها ، وقد يضطر إلى قتلها بيفقد حكم الشرية لمصنوع عنها

وكانت المرأة عند اليونانيين مسخرة الحرية والمكانة في كل
ما يرجع إلى الحقوق الشرعية ، وكانت تطل في المنازل الكثيره محلاً منفصلاً
عن الطريق ، قبيل التواضع مخرج الأبواب ، واشتهرت أندية الخواص
في الحواضر اليونانية لإهمال الزوجات وأمهات السوت وشحرة السماح لهن
بمصحبه الرجال في لأندية ولحفاف المبدية . وخت مجاليس الفلاسفة من
جسر سقراط ، وبم يشتهر من امرأة نابية ، إلى جانب الشهوات من

العواص أو من الجوارى لطيفات ، وقد كان أرسطو يوجب على أهل
« اسبرطة » أنهم يصطلون مع عساة جديهم ، ويصنعون من حرق
سوراة والنسوة وحقوق الميراث والظهور ما يفوق أقدارهن ، ويعززون سقوط
« اسبرطة » ونمطاتها إلى هذه الحرية وهذا الإصرار في الحقوق



وربما ظن البعض يسمعون عن هذه الحرية « الاسبرطية » أنها ثمرة من
تصورات الإرتقاء في تهذيب حق الإنسان من الذكور والإناث ، فطريق
بهؤلاء أن يدور أن إنكار حق الإنسا قد بلغ غايته من القدوة في
نظام الرق الذي يوق بين الاسبرطيين ، وأن ما شاع بينهم من الاسبرطيين
ومن الباطل مع النساء مما هو ظاهران بمقتلانه لسه واحدة في
معيشة الاسبرطيين ، وهي اشتغال الرجال الدائم بالقتال ، وتركهم ما عدا
استقراراً لتصرف المرأة في عية الأزواج والآباء ، فهذا « الحرية النسوية »
وذلك الاستعداد بالمرء مما ظهر أن لعة واحدة ، لا تعصب لها من
مبدأية نكرة والاعتراف بالمعقوق ، وقد نالت المرأة شيئاً من بحاله
والطلاق في عهود الفروسية جمعاً ، مثل هذه العلة ، وكانت مصالحة المرأة
في تلك العهود سراً من الأنثى أن بمائل مصالحة الأعداء ، ون تحاسب
معاسبة الأعداء ، ولم يكن أسراً من النساء حالا في عهد الفروسية
لأقدمية ، فيما عدا هذه الميالات أو هذه الخصائص النسائية ، وقد كانت
الخلاتون ، تنس إلى جانب الجوارى المرفقات حيثما تفرج الرجال
جسدة القتال ، وكذلك كان شأنها بين قبائل الملوك ، وبين قبائل الفريز
والغاليين من الأوربيين ، وكانت مع هذا تفرم الميراث في لأقطاعات يوم
ناع نظم الانطاع والفروسية معياً بهي أولئك الأقوام

ومذهب الرومان الأقدمين كمذهب اليهود الأقدمين في الحكم على
المسرة بانقصور حيث كانت لها علاقة بالآباء أو الأزواج أو الأبناء ،
وتساعدهم بدم تداولوه إيان حصارهم أن يبعد امرأة لا يبرح ، وبها
لا يخلع ، ومن ذلك قول « كاتو » المشهور

Nunquam exiit Servitus mulieris

وتم تتحرر المرأة الرومانية من هذه القيود إلا يوم أن تحرر كلها لأرقاء ، على أكثر التهور ثورة بعد ثورة ، وعصيان بعد عصيان ، فخطرت استرقاق امرأة كما تحذر استرقاق البقرة والعلامة

وانصرفت الحضارة العصرية لتعديدية بإتزام المرأة ، وتحويلها حقوقها « شرعية » تريسه من حقوق رجل ، فكان لها أن تملك وأن تملك وأن تتولى أمر أمرتها في غياب من يمولها ، ودأمت للمرأة المصرية هذه الحقوق على أيام التحول المستقر بشرائنها وتقاليدها ، فخطوة مع اضطراب الدول وتمرد مع عهد نظمانيه إليها ، بيد أن الحضارة العصرية زالت وزالت شرائعها معها قبل عصر الإسلام ، وسرت في الشرق الأوسط يومئذ عنسية من كراهة الهيئة الدنيا بعد سقوط الدولة الرومانية بها انحصرت فيه من عرف وفساد ومن ولم بالذات وانتهولت فأنشئ بهم رم الفل إلى كراهة البدن وكراهة الحرية ، وشاعت في هذه الفترة طغمة ازهد والإيمان بخصامة الجسد وبجاعة المرأة ، وبعث المرأة بسمة انعطية مكان الاعتماد منها حسنة ماثورة لم لا تعد ضرورة ، ومن مقابا هذه السلبية في القرون الوسطى نهضت بعض اللاهوتيين إلى القرن الخامس للميلاد ، فبعثوا بها جديا في جلاء المرأة ، وشاعوا في مجمع « ماكون » هل هي جنسان بعث ؟ « لو هي جسد ذو روح يناد بها الفلاس والملاك ؟ » وغيب على آرائهم أنها خلو من الروح لدجية ، ولا استنفاء لإحدى سمات هوا من هذه الرخصة غير السجدة العذراء أم المسيح عليه الرضوان ..

وبعد غطت هذه العائنية في العهد الروماني على كل ما خلف من حضارة مصر الأولى في شأن المرأة ، وكان استبداد الفلم الروماني على المصريين بعد الاستعداد الأقصا على الرقابة والإعراس عن العبياة ، وما زال كبير من النساء يصحب الزهانة اقتداء من الله وليتمادا من هائل السكان ، وتولوا النساء

ومن المنو في أمثال أفس من الخزيم الرئيسي ، أن الإسلام ينقل شرعت من الشرائع التي تكدرت ولا سيما الشريعة الموسوية ، ولا يتضح

بطلان هذه الأممية من « .. » بما يتضح من المقابلة بين مركز المرأة في حقوقها الشرعية كما تمت عليها كتب التوراة ، ومركز المرأة في حقوقها الشرعية في هوها الإسلام بأحكام القرآن

فلما تورد من الكتب المنسوبة إلى موسى عليه السلام أن تمت تطرح من ميراث أبيها إذا كان له عقب من الذكور ، وما عده هذا الحكم الصريح فهو من تعييل الهيئة التي يفترعها الآل في حياته ، حيث لا يجب ميراث وجوب الحقوق لشرعية بعد الوفاة ، ومثل هذه الهيئة ما أعطاه إبراهيم ابنه إسماعيل عليهما السلام كما جاء في الإصحاح الحادي والعشرين من سفر التكوين : إذ قالت سرة لإبراهيم لغيره هذه الجارية وبنتها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع أبي إسحاق ، فقبض السكالك هذا في غير إبراهيم بسبب ابنه . لقال المله لإبراهيم لا يقبض في ميراثي من أجل العلام ومن أجل جاريتك . ول كل ما تقول لك سرة اسمع لقولك لأنه يلحق يدعي لك نسلا .

ثم جاء في الإصحاح الخامس والعشرين أن : « إبراهيم أعطي إسحاق كله » كان له . أما يصو المراري التراث كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم من إسحاق أنه شرف إلى أرض المشرق وهو - بعد - حي ، وكثك صنع أيوب في حياته كما جاء في الإصحاح الثاني والأربعين من سفر . « ولم توجد نساء جهيلات كسواء ليوب في كل الأرض » وأعطاهن أبوهن ميراثا بين خواتم ، وعطش أيوب بعد هذا ملكة وأربعين سنة ..

وتحكم النصوص عريه في حق الميراث أن يرمم أبنات . لم يقطع سل سكر ، وير النسب التي يقول إبيها ميراث لا يجوز لها أن تتزوج من سبط آخر ، ولا يصح لها أن تنقل ميراثها إلى غير سبطها ، وجاء هذا الحكم ماسم الصريح في غير موضع من كتب التوراة فجاء في الإصحاح السابع والعشرين من سفر العدد أن سات حلفند بن جابر « ودفن أمام موسى والنهار أنسكاه » وأعلم الرؤساء ، وكل لصاعة لدى رب حيمة « تمتدح » ثلاث أبوا مات في اسريه ولم يكن في القوم المدس اجتمعا من الرب في جماعه قورح ، بل يخطيئة مات ولم يكن له يكون ...

لماذا يحدث اسم أبي من بين عشيرته لأنه ليس له ابن ؟ .. أعطنا ملكا
من عشيرة أبينا .. فقدم موسى دعواهم أمام قريه بهمكم الرب موسى
قائلا . متى تكلمت بسات حلفاد ، فتمظهر ملك نصيب من عشيرة
أبيهم وتكلم نصيب أبيهم إليهم وسلكهم بنو إسرائيل قائلين أيضا رجس
هات وليس له ابن ننقون بملكه إلى إيت ، وإن سمى ملكي له أمة نطقوا
ملكه لأحوته ، وإن لم يكن به عشيرة نطقوا ملكه لأخوته أبيه ، وإن لم
يكن لأبيه عشيرة نطقوا ملكه نصيبه لأقرب إليه من عشيرته لغيره .
فصارت لبني إسرائيل هريفة قصا كما أمر الرب موسى .

وبلى ذلك من الإصحاح السادس والثلاثين أنه (يتحول نصيب إسرائيل
من سبط إلى سبط ، من بلادم بنو إسرائيل كل واحد نصيب سبط آتاه ،
وكل بنت وورثت نصيبا من أبيها بنو إسرائيل تكون امرأة لولدهم من
عشيرته سبط أبيها لكي يرث بنو إسرائيل كل واحد نصيب آتاه ، فلا
يتحول نصيب من سبط بن سبط حز بن بلادم بنو إسرائيل كل واحد
نصيبه كما أمر الرب موسى . . . »

وستقل إلى البلاد التي بدأت فيها دعوة القرآن الكريم وهي بلاد
الجزيرة العربية ، فلا تتوقع أن تكون للمرأة فيها نصبة من الانصاف
والكرامة غير هذه النصبة العامة في بلاد المسلمين ، على تباعد أرجاءه
وتسوع عاداته وشرائعه ، وطبعا كانت نصبة في سبط أبناء الجزيرة
فتميل إلى المساواة إلى خنيس ثم تعد إليه في سائر الأقسام من الأمم
كلية ، وترعى فلا يكون قصاراها من لارتقاء إلا أنها تكرم عند زوجها
لأنها بنت ذلك الرئيس الجاهل أو أم هذا الأمن المحبوب ، فأما نصبة تكرم
وتصلح لأمتها من جسد النساء ، يمتصها ما يتم بسات جنسا من الحق
والعامة ، فذلك ما سم تدركه قط من مدرج الانصاف والكرامة . وقد يجمعها
الأب والزوج كما يجمعها الأخ والأب حصرية الواجب المبرور عليه لكلا
ما في جوارحه أو كل ما في حوزته وعماه . فعلمنا من الرجل منهم أن بهان
حرمه كما يحميه أن يحتدي عليه في كل معنى أو سرخ ، ربه غربه ومات
وبشره وعمره

هكذا حاتم المرأة هي حار يات من حب الموت أو صلب الموت مع المال
والنساء ومن خوفه الصار يجرى للرحله منه في طغولها وسفكر عليها
الثقة التي لا يشكرها على الجارية الملوكة والمجوس النافع ، وكس
تيمنها بين الذين يستحرمون ولا يقتولونها في طغولها أنها حصه من ميراث
تلقاه من الآباء إلى الأبناء ، ويبيع وترهن له قضاء المناقح وسداد
الديون ، ولا يحرم من ذلك المصير إلا من تكون عذرة قوم نهر بها بعد
عندهم من نمار وجوار



جاء القرآن الكريم إلى هذه البلاد كما جاء إلى بلاد العالم كله بمفهوم
مشروعة للمرأة لم يسبق إليها في دستور هريفة أو دستور دين ، وأكرم
ذلك لها أنه رفعها من المهنة إلى مكانة الإنسان المجدد من حرية آدم
وحواء ، بريته من رجس الشيطان ومن حلة الحيوان

وأعم من جميع الحقوق المبرمة التي كتبها المرأة من القرآن الكريم
لأول مرة أنه رفع عبء الحب المحبوبة لأدوية روضة الجسد المدبول ، مثل
من الزوج قد يوسوس به الشيطان ويستحق الفخر بالتوبة والندم

« فأزلقها الشيطان عنها فأخرجها مما كانتا فيه » . . . البقرة ٣٦

« فوسوس لها الشيطان ليبدى لها ما ووري عنها من سوءاتها » . . .

وكلامهم فلم نفسه بقلب . . . الأعراف ٢٠

« فلا ربنا ظننا أنفسنا وإن لم تنصركم ولا تنصركم لنكونن من

الضالين » . . . الأعراف ٢٣

وليس على ذرية آدم وحواء من بني وينات جريرة تلجئهم بعد أبيهم
أو تلحق أحدا من الأبناء بجزيرة الإباء .

« . . . تلك أمة قد ظلت لها ما كسبت ولكم ما كسبت ولا تسألون

عما كانوا يعملون » . . . البقرة ١٣٤ و ١٤١

ومح مكان المرأة في الحياة الجديدة كما منح مكانها في الحياة
الروحية ، بما فرضه القرآن الكريم على لائسان من رعاية جده ، والمثمة
لطيفة بخيرات أرمه ورغبات نفسه ، فبرئت المرأة من لسة الجسد ،
وارتفعت عن الوصفة التي طلت بها فجعلتها في خلقها هريفة لشهوات

الحيوان وجبال الشيطان ، ينمو من الكبش من نجا منها ويتكثر عن
الحيوانية من تنزه عن النظر إليها

لا جرم كان تصحيح الفكر إلى مكان المرأة ناحية واحدة من مراح شى
في ذلك النظام الأكسي الشاغل الذي يمتدح النظر إلى حياة النوح وحياة
الجسد ، وإلى بواعث الحرج والشر وإلى موارين التمتع والحرارة ، وقوامه
كله حق الوجود وحق الميث للكاثر الحى من ذكر وأنثى ومن كثير وصغير ،
فلا يكتفى القرآن من المسلم بالجناب وأد البهائم خشية لافلاق أو خشية
العار ، لأنها درجة لا تعدو أن تكون نجاه من هراوه الوحشية لا ترتقى
به إلى درجة الانسجام الأمي على حق الحياة ، المزمع بمصير كذا موجود من
بعملة العيش والزراعة بل يابى القرآن للمسلم أن يتبرم بفكرة الفسادات وأن
يتقى ولا تهم بالأموس والافصاح

« وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسود وهو كظيم » . يتوارى من
القوم من سوء ما بشر به أيمسك على من أم يبدسه في التزعم إلا
ما يحكمون » . النجيب ٥٨ ١٩٦٠

وتتسوى رعاية لائن لأبيه وأمه ، كما تساوى رعايته لبيته وبنته ،
وقد تشتم الأمهات بأنثوية في هذا المقام ، فإذا وجد الاحسان للوالدين
مع فالوالدة هي التي تصبى من آلام النص والوضع ، لا بعنف الآباء

« ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملت أمه كرها ووضعته كرها » .

الأحسان ١٥

وإنما يفسر لائن عن شريعة الواجب - لا عن شريعة المنفعة -
في رعاية الدرية من الاناث كفعالة الذرية من الذكور فلا يدوت لفرار الكريم
أن شريعة المنفعة قد تلحق ، إلى قتل الرجل واستهواء النساء ، كما ألتأت
هذه للشريعة قوما إلى ود الفسادات واستفهام النج . وكلا لصانين بلاه
بجلى ، وورر يصب على جناسه من الأمم ومن العاكمين .

« وإذا أنجبناكم من كرمون يبرركم - الله - يبرمين
أبكم ويستحيون نساءكم ول فلکم ملا ، من ربكم عظيم » . الأعراف ١٤١
وقرمون هو الذى يتول ملخوذا بها قال . « يفتن لهمهم ويسخين

سماهم ولنا فوفهم غاهرون » . الأعراف ٢٢

فلذلك إذن شريعة الواجب تدور من امرأة من حق البعثة وحق الرعاية ،
ما فرضته برجن وللائسن على لاجمال ، وإنه يجدير بالالتفت أن « لائن »
هو أبوه في القرآن الكريم بالأخص إلى الوالد ، لأن الرجل هنا يفتوى
في نوح لائن ، ويفنى أن يفس أنه أحد الجسدين المخطئين .

ملو لآية كبرى في رتبة القرآن باللائن ، أنها رتبة رجب دور
أن يوجهه عمل من النساء ولا عمل من المجتمع وأنه فرضت على المجتمع
موت ، وبذلك ربما لم يظلمه هؤلاء أو هؤلاء وذلك وصاية لم يحدث بها
مغير لمما تقدم من الشرائع بل دعوة الاسلام

إن حول است ختلف من المبراث عبد انقطع الدرية من الأمهات -
كرب روح في شريعة الثروة - إنما هو حكم من أحكام الضرورة لا منصرفه
عنه بوساء ولادة الأمر أن يبرفوه إلى غير هذا الوجه المحترم ، وقد
سمح به امرأة - مع هذا - على شرط يتقيد الحق ويخصمه للمجر عليه .
ولا تتزوج امرأة صالحة الملب من غير رجال الأسرة ، ولا تثبت أن تأخذ
حسها من صاحب حتى تودعها في بيتها إلى رجل من الرجن

فدييات هذا حق لم تملك المرأة ، وبم مظهر المجتمع إياه ، ولا مطل فيه
من عطف أشريعة إلا أنه عمل الضرورة الذى لا خيلة فيه

وقد يكون للمجتمع من قصص به أحوال البعثة في الحضارة الوحيدة
التي بواب المرأة مكلها من الوعابة ، وهي الحضارة المصرية القديمة . ولكنه
كذلك مما يؤول إلى حكم الضرورة التي فصلت في أدوار التاريخ دورا
بعد دور

ومن رورات هذه الأدوار التاريخي أن تحتفظ الأسرة الحاكمة بالعرش
أو كان الإرث من الذكور أو الاناث ، ومن ضرورتها أن الأرض المزروعة
تلك وتروغ على الدوام بعد نقصان البيل ، ولا يخرج من مطلق الأسرة التي
بعتها دائما بعد عام

ومن ضرورتها أن تقسم العمل بين الجنسين في غير مسائل الحرب تدبر
لا محيص عنه في ملاد التروام العريقة ملا يتأثر بالرجال منفردين أن يفسلموا
بجميع تلك الأعمال . وكل دافع من هذه النواحي الاجتماعى لمعد تفردت

صومعا في الشهادة والحكمة والفتكاح وتضطر إلى المنى في انطراقات وظهور
تدبها ، وخمسة الفقرات من « وهذا معنى قوله » « لا ما ظهر منها »
يعني إلا ما حوت الصلاة والجملة على ظهوره ، ولأجل فيه الظهور ،
ولما مسموح في الزينة الحية أولئك المذكورين لما كانوا مضمين به من
الصحة لمضطره إلى مداخلتهم وهذالطبع ، وقلة توقع انقائه من جهاتهم ،
ولب في النطاق من الفقرة من ماله ، فترائب ، وتحتاج المرأة إلى محبتهم
في الأسفار للزور والركوب وغير ذلك »

والتأخرون من المتبرين على مثل ذلك أنهم كبرياء التي مجور إظهاره ،
ومن أحد أهم الاستاد منظوى جمهورى صاحب تفسير الجمهورى حيث
يقول : « إلا ما ظهر منها عند مزاوله الأشياء كالتياب وحنان والكملة
والخشاب في الكد وكالوجه والفدي ، فلي ستر هذه الأشياء مخرج
عظيم ، عن المرأة لا تعددا من ماله ، لأن زيادة بيده ومن الصفة إلى
كف وجبه ، لا سيما في مثل تحسن الشهادة ، الصلحة والحدرة وما تشبه
ذلك ، هذا كله إذا لم يخف الوجه فتنه - من حاتم من سورة - ٥٥٠ »

والفهم من الحجاب على هذا واضح بغير تفسير ، فليس المراد به
إخفاء المرأة وجبها في البيوت ، لأن الأمر بمصر الأجسام لا يكون مع
إخفاء النساء وجبها وراء جدران البيوت وبحريم الخروج على المرأة
لثقلون التي تباح من ، ولم يكن المحجب كما ورد في جميع الآيات مبالا
في حياة النبي عليه السلام أن تخرج المرأة مع الرجال إلى ميادين القتال ،
ولا أن تشهد الصلاة العامة في المسجد ، ولا أن تراود التحفيرة ورافق
النبي عليه السلام رجال والنساء على النساء ، ومعه يمكن من عمل تراوله
المرأة في مصالحها اللازمة ، فلا عائق له من الحجاب الذي أوجبه الله تعالى
الكرام ، ولا عضة عليها فيه ، لأنه يصب من الرجل فيما يباحه كما يطلب
مها فيه ، يتل بها .

وهو الحسن أن نذكر أن الأمر بانقارار في البيوت إنما هو طلب به
فساء لتبني عيبه السلام المناسبة خاصة به لا تعرض لعرض من بعد .

لمنحني ، وبهذا مدلب الأمة مقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا »
كأحد من النساء » ثم اقترن هذا الأمر بأمر آخر يمس الرجال الذين
يقدمون على أسير ، فيدخرون مسكنه بمن استند في ربه زوجته رسول
الذين عيهم ، غير فارت في بيوتهم من الممكن الشريف ، فدخلوا الزورون
ويطلبون آله على غير إذن من - وذلك فهي الزائرون أن يدخلوه حتى
يؤذن لهم

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت للنس إلا أن يؤذن لكم
إلى سلام خير مطربين إناء - ولكن إذا دعيتهم فادخلوا فإذا دعيتهم
فادخلوا ، ولا مدخل من حديث - إن ذلكم كان يودي إلى صهيبي
منكم ، والله لا يجزي من نحو - وإذا سألتهم عن مسألة فسبوا هني
من وراء حجاب - منكم لغير اعتونكم وعيون » ، وما كان لكم أن تدخلوا
رسول - ٥٥٠ » « الآية - ٥٢ »

وهو الذي من آداب الدعوة يعني أن تأذبه به الزور كخدم كانت
تدعى الحجاب في غير البيوت

فلا حجاب إذن في الإسلام مسمى الحجب والحر والمهانة ، ولا حاشق
ليه لغيره لمرأه حيث تجب الحريه وتنقضي الصلحة ، وإنما هو الحجاب
منع العارية والفرج والقصص ، وحافظ الحرمات وآداب العفة والعباء
وما من ديانة ولا سرمة بعدد منها أن نأذن مسرور ولا ينهي عنه ،
أو بعدد منها أن تضي عنه ولا تعرض له أدبا يهذبه ويكف آد . .
فمثل هذا التفرج في الجاهلية الأولى هو الذي معه الرومان يذمون ،
وتغضون عنه يوم تصفوا عن التبر والذات التي أطاعت سدولة وأعفت
العلم سانة من ثروات الصد - طارت حدودها ، وأوشكت أن تنقب من
تقنين الإذنه لكن شيء إلى تقين الحرمان من كل شيء

ومثل هذا التفرج هو الذي لدى توعده النبي إسماعيل بالدمر لدى
ممنع بأية فلا يبقى بها سانة ، فقال : « ٦٠ » من أجل أن يدت صبيون

يتشابهن ويمشين محدودات الأسماء عامرات بسيمويهن ، خالجات في شيهن ،
يحشحن أرجلهن بصلح السيد هامة نشت صهيون ويرى الرب عورتين ،
ويقزع السيد في أنيرم ريبا الخلاصيل وسقيته والأهنة والحق والأسماء
والعرائق والعصائب والسلاسل والاشناق رحساحر شمسيت والأصغر
رحرائم لأنوف ..

ويشد هذا الترخج هر اندي نمشة جميع شرائع على الورى حيث
سميه « نعتك » أو تسميه الاحلال بعاموس انبياء ، ثم لا تفلح في معه
لأنها تسمه بعض القانون ولا تسمه موارع بوجدان والإيمان

الفصل السابع

حقوق المرأة

حيث حقوق امرأة في القرآن الكريم على أعديه أساس يتقرر به
إنصاف خاص بحق ، وإنصاف سائر الناس منه ، وهو أساس لمساواة بين
الحقوق والواجبات ..

فالمساواة ليست بمعدل إذا قسمت بمساواة الناس في الحقوق على
تفاوت واجتهادهم وكفايتهم وأعمالهم ، وإنما هي الظلم كل نظم للراجع
والرجوح . فإن الرجوح يضرب ويضرب الناس مع أن يأخذ فوق حقه ،
وأن سال متى ما يتدر عيه ، وكل من ينتص من حق الرجوح يصيره لأنه
يمثل من قدرته ، ويضرب الناس معه ، لأنه يحرمهم ثمرة تلك القدرة ،
ومقدمهم عن الاجتهاد في طلب المزيد من الواجبات ، مع م يشعرون به
من نفس الحق ..

والمتقرون المحتنون يصلحون عيب المساواة المطقة بما سعوه
مساواة في القومة ، وهو إصلاح مطلوب في تقدير المدالة الاجتماعية ،
عند معرفة الفرصة والاحتمال الاختلاف فيها على حسب امتلاك الأفراد
والأحوال . ولكن الاختيار بمساواة الفرصة حيث عند اختلاف الجنين ،
واختلاف وضع كل منهم بحكم الفرصة ، وناتجها في العلاقات الاجتماعية ،
فلا محل من تعلق المساواة بالفوعة لمساواة ، إذ كانت الفرصة هنا مقرونة
بأوضاع طبيعية التي لا تبدل فيها . فليست هناك فرصة تتظفرها المرأة
تمثل عن وطنيتها ، ومن نتائج هذه الوظيفية ، واجباتها لمطرية والاجتماعية
ولست هناك فرصة تتسوى من الرجل والمرأة ، حيث لا مساواة بينهما في تركيب
البنية ولا في عناصر التركيب .

وبين من المعدل أن من المسألة أن يتساوى الرجل والنساء في جميع
الاعتبارات ، مع التفاوت بينهم في أهم الخصائص التي تتبادر بها الحقوق
وانواجبات ..

وبين الرجال والنساء تلك التفاوت الثابت في الأخلاق الاجتماعية ، وفي الأخلاق العائلية ، وفي مطالب الأسرة ، ولا سيما مطالب الأمومة وتربية أبنائها المتزايدة .

من الثابت أن المرأة بم استقلال في حيزها الخاص كله ، ذلك هو ما على الأخلاق الاجتماعية . ومن يحد لها العمل ، فله في إنشاء عيم العرف ، الآداب العامة ، ومن يكن خلفها مستعد من الحرمة ، فهو في الحساب الاجتماعي منه صاحب لقوة الرجل وإثراء عيمه هو أقرب الأمور بها ، وأعمق تكوينها ، وأبرز بالنسبة إليهم على الحياة ، وخلق أنصار ، وحق النظافة التي تشمل الزينة بأمرها .



ومن الثابت كذلك أن الأخلاق العائلية في المرأة عرضة لنقص الذي لا خاص منه من مطالب الإنوثة ومطالب الإنكسار في البيئة الاجتماعية . فلا بد من التناقص بين شعور المرأة في نفس أكرم السيادة في لا يمكنه إلى الواحد الذي يصوب إليه - نفسه من من صورة والنسبة بوجوب شعور الفرد الذي يلم نفسه بالاستقلال عن كل فرد ينتش على حدوده الشخصية . ولا سيما من الساقص من فرح الأم سنام أبنائها ساعة الولادة ومن برح الكائن بحي من الحظر على حياته ، وبقر من التناقص بين الكمية وظنية النوع عند حصول الحمل ، وبين هت الشهوة الجنسية لضرورة موعده . من يدرك هذا تتصور لاختلاف في أعماق الحياة سبب اثره المكنون في الاستقلال حي ، وشعور الجد ولصدق وانصرحه

وإذا عرفنا البحر من التناقص المستند في الضيق ، ومفيدة معرجه معقولة أنه لا يفتح استوائية بين المصنفين في الكليات والواجبات ، فللتفاوت بعد ذلك مسألة من مسائل الوثوث وتوزيع بعد بين كل منهما من يعنيه وقتها لملو له لأداء عمله ، فليس يدي « ترواة وقت يتسع لها يتسع له وقت الرجل من مطالب النسوة ، مع انحصار مطالب الحمل وانصراف والخصبة وتربية الحياة مقربة .

ونظام الأسرة يستلزم تقرير الرئاسة عليهما بواحد من الاثنين الزوج أو الزوجة ، ولا يخفى عن هذه الرئاسة . لا عن تكاثرها ، أن « من الزواج شركة بين شريكين متساويين ، وتوفيقا بين حصتين متعادلتين . بين الشركة لا تستغنى عن يخصص لولايتها ، ويسأل عن قوامها ، ويثوب عنها في علاقتها بغيرها . وليس من المعقول أن تتصدى الزوجة لهذه الولاية في جميع الأوقات . إذ هي عاجزة عنها على الإنجاب في بعض الأوقات ، غير قادرة على استئصالها حتى تنسأ .»



هذه الفوارق بين الجنسين تدخل في حساب التشريعية لا محالة عند تقرير الحقوق والواجبات بينهما ، وتأبى كل مساواة لا تقوم على أساس لمساواة بين الحق والواجب ، وبين العمل والكفاية وهذه هي مساواة التي شرعها القرآن الكريم بين الرجل والمرأة ، أو بين الزوج والزوجة ، أو بين الذكر والأنثى . ولا صلاح مجتمع يفتقر العدل في هذه المساواة ، ولا سيما المجتمع الذي يدين بتكافؤ الفرص ويجهل المساواة في فرصة العمل بالتمام

المرأة ظل ما نزلت وعليها مثل ما عليه .

« ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » . « لبقرة ٢٢٨ »

وكل منهما قوة عملة في دنياه ، يطلب منه عمله ويحق له جزاؤه .

« أنثى لا أصعب عمل عامل من ذكر أو أنثى » . « آل عمران آية ١٩٥ » ولكل منهما سببه وحكمه :

« ولرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن من النساء » . « ٣٧ »

ولا يظفون في نصيب مقدور بغير التكاليف التي تفرض على الرجل

وبعد ، فالدكر من الإنشاء مثل حظ الأنثيين في الميراث .

« ويوهبكم الله في أولادكم لذكر مثل حظ الأنثيين » . « النساء آية ١١ »

وكذلك نصيب لأخوة من رجال ونساء

ومسوح هذا التفاوت أن لا يح مسؤول عن نفقة أشبه ، وأن الابن

يعول من لا عمل به من أهله ، وررب أبيت عامه هو زوج أو لال

أو الرئيس من الأبناء والأخوة ومن إنعم ، وتربية رجوب المسمى على

الرجل ثلوى وأطلع من تقريره على المرأة التي يتلقاها من يساويها به في
واحدات النسبي على العائش ، مع موهبا بواحد الأمومة والصناعة
وتدبير الحياة المنزلية



وبدلت الرجل والمرأة في كثير من الميراث في بعض مسائل الحقوق التي
تعمل بالنسبي والمساوي ، وجه مسألة الشهادة على الذكور والمؤنثي :
« وستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكتفوا رجلا فوجدت »
وهران من ثمن ترضون من الشهود أن ترضي إحداهما فتشكر إحداهما
الأمرين ٥٥ ، البقرة ٢٨٢

والشهادة في جميع الأحوال - كما نرى عليها القرآن الكريم - على
معالج فيه المساعد أن يفت على دخل الحب وتيفض وينتجب الميل
مع هواء

« يأبى الله الدين آمنوا كنوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على
أنفسكم أو الوالدين والأقربين أو من يكن معكم أو نصرا فالف أولي
بها فلا تنكبوا للهوى أن تدلوا وإن ظنوا أو تعرضوا للهوى الله كان
بما تمكّنون خيرا ٥٥ »

سورة النساء ١٢٥

« .. يأبى الله الدين آمنوا كنوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا
يجرمنكم شأن قوم على ألا تعدلوا ، عدلوا هو أقرب للتقوى ٥٥ »
سورة المائدة ٨

والقيمة في الشهادة هي قضية العدل وهداية الحق والمصلحة ، ولها
شروطها التي نلاحظ منها المبدأ وقضين القبط على أساس اسم . وأما
هذا - كما ينبغي أن نقرر - الجريمة - هو دفع الشهادة من جانب الهوى
وما يوسوس به للنفس في الأحوال المحبة والكرامة وحالات الانسحاب
والخبراء ، وليس بالقسطي السادل من يصرف به هذا المبدأ ، فيقص
بالمساواة بين الجنسين في الاختصاص في الزواج الحسن ، والإنقياد للنوازع
العاطفية ، والامتثال مع مبررات الشعور من رغبة ورهبة . فالأحد الذي
يبنى لتفاني السادل أن يرميها حيا حريها على حقوق الناس أن يعلم أن

النساء لا يمكن من معاملتهم « ينالكم الرجال » ، وأنه محسن لحكم يصحي
الحق ، ويدفع الظلم ، ويحفظ ذلك غاية ما في وسعه من جهة ، لأنه أمر
لا يعنيه لشخصه ، ولا يهل له أن يجهه سبيلا إلى نهية من تصيد الكفاية ،
أو مخالطة من معاملات الأندية ، وقديما كانت هذه النعيا والمجالات
تجوز في باب من المجتمع ، ونهري منها في ملكر نواحيه ضروب من الظلم
للمستضعفين والمستضعفات لتشر بها الأيدي



وعلى هذه السنة من تقرير المبادئ ، السنية في شؤون العدالة والصفه
تجوز شريعا الفران الكريم ، حيث تقتضي المصلحة لصاية البريء ، وانصاف
المظنوم ، وأن يزداد عند الشهود من الرجال فلا يكتفى منهم بالشاهد
والشاهدين ، إيماننا في دفع الشك وتأثيره - حيث وعد - لمصلحة المتهم ،
حتى نلزمه الإدانة بدعوة من الشكوك والتبيلات

ولقد يوجد من النساء من تقوم شهادة إحداهن بشهادة ألف رجل ،
ولقد يوجد من الرجال ألف لا تقبل منهم شهادة ، ولكن المشرع الذي
يقول - لأجل ذلك - إن مرج الرجل ومراج امرأة سوء في الحسن
والعائسة ، يتكلم من معاملة الواقع ، ويصمم « يبطل تشرية ويحيه عن
هذا المقام ٥٥ »

وليس من غرضنا في هذا التكم على حقوق المرأة ، أن نؤكد الأعمال
التي تجوز لها في المجتمع ، فليسا فيها نرى لا تتبلل لإحماء ، ولا تتشبه
في المجتمعات ، مع اختلاف الزمن وتباين الأحوال ، وإنما نجتري في
كلماته حب بين حكمه الاختلاف حيث وجد اختلاف الحقوق ، فاما
الأعمال المباحة للمرأة فهي الأعمال المساحة للرجل مغير تغير ، وكل
ما تصط به من هجود ، أن تسمى على معواء اللطوة ، فلا تفل بالقومة
للضرورة للمجتمع وللحرة ، إذ هي شرية لا يحد من تقريرها لأحد
للجنسين وليس من الطبيعي ولا من المقبول أن يتساوى فيها الجنسان
ومع ذلك فإن حقوق الإنسان انثائية أمل من أعمال العوييات التي
تترقبها في المستقبل ، ولا لتبيل على جليتها في مجتمع من مجتمعات
الأمم العاصرة ولا الأمم الماضية ، كأننا ما كان لسطها من الحضارة

والمنفعة، لأن المجتمع المسلم مسرور متحيلة، ثم يزل رواد الإسلام أنفسهم يتألمون إليه السد ولا يتعقون عليها ولا على لمعية المشوكة
لكن تؤدي إليها •

بيد أننا مستطيع بمعز تردد أن نفهم إن المجتمع الأمثل ليس هو المجتمع الذي نضرب فيه امرأة إلى الكدح لقوتها، غوت أساليبها
وايس هو المجتمع الذي تعطى فيه أمومتها، وتنتطح بداتها، ونصيرها
إلى مظهرها وأحوالها ••

وليس هو المجتمع الذي يشأ فيه نساء بمير أمومة، ونفير أبوة،
وبمعز أسره، كأنه محصول من مصاصيد البراعة التي تتولاهم الدولة من
الجماعة الشربة ••

وإذا أخذنا حانه لراءة السمة عفسه ولتوعها مقياسا للمجتمع الأمثل،
مخير ما يكون عليه هذا المجتمع - إنش - أن تكون المرأة فيه مكفوة
لمؤمة في أمومتها، وأن يكون عا كفه في الأهم التي تراه في رويها،
بحسبها المتصل، على أجمع، مريض من سكرته لعدو وسلامه بسر
والظوية ••

وقد مثل هذا المجتمع تجري العلاقة بين الجنسين على سنة روح
لعمل وتقسيم الحقوق المتساوية بين جنس متكامل فيما هو أولو
وأقرب عليا ويعدك من الحقوق في حجة إلى الله، ويتخلى عن العمل الذي
لا يسسه ولا يلحأ إليه إلا على اضطرار ••

ومركز المرأة حيث أقامها القرآن الكريم، كقيل لها منك ما يعورها
تتحقيق رسالتها الفطرية في هذا المجتمع المثالي على الوجه الأمثل

ويستفاد في المجتمعات بصورها أن يكون الموارد الكثرية من
انتظام المجتمع على مد سنة القوية من توزيع الأعمال ونصير
لحقوق، لاختلال وضعه لسياسية واقتصادية ونفسية عينا به
لرجال من جميع الطبقات ولا يمسها راءة هذا بين المرأة
والحيات العامة، فيضطر المرأة إلى الكدح لقوتها وقوتها هذا، ويعجز

عن تكاليف الأمومة، وتغيير البيت، والمشاركة بخصتها من الصدة الروحية •
وحده ذلك ظل تتصاهر الجهود لإصلاحها وتغييرها، ولا يسمح أن تتناثر
لإحالتها واستدانتها وإقامة الشرائع والقوانين لتثبيتها • وعلى هذا النحو
بمضرب اليهود من قبل على إصلاح انحل انذى كان يدلع بالأطفال إلى
التمسك لمؤنة الآباء والأهليات في جعلك أقواتهم وممرورات
معيشهم، بمولج هذا الخل متعزم تشليلهم، ومولج الخل من معيله
بالحصر العاجل قوة وبالحر المتراخي مع الزمن تارة أخرى، ولم تكن
علة من علة هذا انحل وأشباهه حجة على ملاحه، بإقامه مفسام الحق
لذي يؤمن ولا يتبدل ••

وقد مضى السور، من تسمى انقروا، قيل أن يستقر المجتمع
الإنساني على الوجه الأمثل في حقوق المرأة خاصة، وفي حقوق أنثى
ومنت من الرجال ونساء على التعميم، وقد تكلمنا المرأة عند كتب تلها
اليوم إلى كتب الرزق وتدفع الحصة، والاعتصام بالعمل من المن
••••• في بيت المرأة إلى هذه الماقر، فليس في أمكالم الإسلام
مفكس سبها ومن عملك شريف تسروله المرأة، وليست كقره الصفات
في العرب اليوم وقتلن في الشرق كمنح من صوائع الأحكام الإسلامية
ولأنها هو الماقر بين مجتمع ومجتمع، وبين أطوار وأطوار، ومثل هذا
الهدى كاز على التسواه وأشدده بين مجتمعات العرب اليوم ومجتمعات
الأمس • ففكر عدد للثغرات بالأعمال إمامة بين العربيات من قبل
لأسباب إجماعية واقتصادية، ويعدر عدد أسلمت اشتملات بها اليوم
لأسباب تلك الأسباب، وقد يطرا عليها التبدل عتلا أو متهلا على
صت الأحوال ••

ولي يسمح للمرأة المسلمة التي تعزم قوامه البيت أن تتأول من العمل
الشريف كله تتأوله المرأة في أهم أحوالها، فيها مصيب مما كسبت
لها مثل لدى طيها بدمروه، وذلك حقها الذي نطكه • كلف يستف
نسه أو كلما هتارمه بصلصه، وذلك حقها في القرآن الكريم

الزوجهات أفضل الممول ، ويعمل كل خط سواء قسوة ماله أو عطيلاً لأسره
الأعراس التي يشرع من أجلها الزواج

مقد يحدث أن تصاب الزوجة بمرض عاقل ، ينسحب من وجباتها
لزوجية ، ويفقدها وظيف الأمومة ، فإذا تمتنع تعدد الزوجات في جميع
الحالات فلا يصح للزوج الذي عقدت زواجه ، وهتكت عن تعبير بيتها ،
من حليق تلك الزوجة ، أو من الامتناع عن رواج فقد حناه ، وبذلك العزم
الأكثر من أسرته والنوع ، ولم يبق معه ليرحل إلا تكاليف الخدمة المنزلية
لتر تمره ونحو زوجته بلا عقب ولا بكر ستمن إليه ..

فالمصاح بتعدد الزوجات في هذه المسئلة النفسية حل مقبول أسلم
أكرم من سيد امرأة المربى ، ومن إكرام الرجل على القم وأشقته . وليس
من جوانب التشريع في أمثال هذه المسائل ، أن تكون قيد عصمة على
المرأة التي ينسب إليها نوع آخر ، مع بقائها في عصمته . فإن العصمة
لاحت بها في الملال ، وليست الضمان التي تصيب أرواحاً لتسود على
الحكم واحتمال تكاليف العصمة النسبة بالأمر الذي يسو عنه التشريع ،
بل هي أولى منظر الشريعة التي تقدر أرواح وتحمي قوامها ، إذ كان إهمالها
إحتمالاً يمكن الزواج ، وإلحاقاً لمقدم الشارع من إتمام أصله بين الزوجين ،
وتحريم الرعي والمقوق

وما يخص للرجل المتزوج قريبه لا يزوجها غيره ، ويكره لها نسل
لا يرعاه لزوج العرب عبد ، فمن العدل أن يقال إن الأهلان
لهب بالصدقة أكرم لها من كفلتها في عصمته ، ورعاها في هذه الحقة
أولى بالتقديم من رعي زوجته التي يعمها الأثرة عن كل شعور غير شعورها ،
مكفانها امرأة ، وكفانها إنسان يحق له الصف والضماني من لكره وإنشده ..

وعسى فالسادر أن نمر عالاهم أزمات ، يرد فيها عدد النساء على
عدد الرجال ، كما يحدث في أعقاب الحروب والثورات ، وقد يحدث في أعقاب
الأوبئة التي تنقل عدوها في المصاح الماسة ، فلا ضم من باب المرأة كما
تعرض للوخل ، وقد يحدث أن تكون ربيده عدد لادث ظامرة مطردة
في كثير من الأنواع كما يقول بعض شحاتين معلمي الأحياء ، ماد حدث هذا

لاحتلال في نسبة التسلوي بين الجنسين ، فليس لهذه المسئلة حل أسلم
أكرم من المصاح بتعدد الزوجات ، لأن المرأة التي لا تزوج تعيش مشقة
لبطالة وقلقة ، أو تكدر في ظل الورق معطل من الأعمال لا يتيسر لجميع
نساء ، وتنتل بالمعقم في الحاتين

وما من عتراض على هذا الحل يمسب المعرض على الهدأ الجدد
في علاج أدواء المجتمع ، والاخلاص في تدبير مسائله وأقاربه . منهم يحسون
أن لحرص على كرامة العبد أحياسي كبد لها بالصيانة ، وكثير
لمجتمع بجل شكله الزواج ، وما من أحد يجز عن المبالاة بكرامة المرأة ،
وما مسمى لها في عالم الضلال ، ولكن كرامة المرأة في الحق ولو ارتفع
لا تساوي شيئاً عند من يوتن لها المقم ، والامتناع ، والأعضاء عن
ضلائك الزوج ، وسراريه ، ولا يأن لها أن تؤثر الرعي بتعدد الزوجات
على الرعي بقا هذه المساوي والمقصود ، وهي صاحبة الحق في الاختيار
بين الأمرين ، وهذا لا تنافي كرها بين الزواج ، إذ سمح الشارع بتعدد
الزواج ، ولعها فساق كره إلى المقم والعوية إذا حرمه عليها الشارع
ولم يملق بوتن طريق الأساقف والامتناع . فمن تلك يحق المرأة ، فيترك
لها على الأتم أن تكون هي صاحبة الاختيار بين الصلابة المشروعة على
ملائها ، ومع العلاقة التي يجرم عليها في كل شريعة وكل دين . والواقع
أن التشريع الذي يجرم تعدد الزوجات لا يبعد من حرية الرجل بظمذار
ما يبعد من حرية امرأة ، لأن الرجل لا يحدد روحانيه معير مشيئة المرأة ..
هذه المثيئة التي تقع عنها الحصر ، وتفرص عليها القصور ، أو تعرب
عليها النساء من كل الشاع ، فلا ترجع إليها الحرية فيما ترتضيه .

وبد مكتب الشرائع الاجتماعية قبل الإسلام ، عن كل حكم من أحكام
الزواج غير النكم ليقوم من يحدته عن إطلاقه معير عدد محدود من
الزوجات . أي كانت نسبة العدد بين الجنسين ، وسيرة أرواح على مؤه
لبيته ، وحده المعظم من توتن اسناد المسئلة البتية . فلم تفرص شريعة
مما أي من رواج ورواج ، ولا بن حالة ممثلة وحقة متعددة ،

أو بن حاله بعض فيها الإكثار، بلزوجة أو عدة - وهذه يسلط عليها
مقتصد الزواج بهذا الانقضاء ، وذلك هو العصر الذي مداركه الإسلام
حيث لمح البوارق الكثيرة من لزوم الزواج من وجهه الاحتصانه أو وجهه
الميتية ، فعرف الحالة التي يخلقه الشرع في الرجل والمرأة ، كما
عرف الحالة النافرة التي يطر إليها الزوج - وتطهر إليها زوجة ،
ويضطر إليها انقضاء والفرج . لأنها أصلح من تعطيل الزواج ، وأوفق من
العروة والأنت داله

ما شرع المذنبه عما قبل الاسلام كان يسبح تعدد حريه
واقتراب السراري مع تعدد العدد ولا يتوهم بشرط من شروط
غير ما يدرمه الزوج من المكن والمأون
والثريطان القديس السابقين للاسلام وهم لا يبييه
واسحب - مختلفتان في احكام الزواج وفي النظر إلى عساه وعساه من
ابوجه الروحانية +

دشيرة الأسرائيلية : بحث تمدد الروجات ، صيته لروح خفا
وعنه وانتقد له ، ويقيم من أقصد العهد القديم أن داود ويسكن عبيد
السلام - وهما ملكان فيبار - جميعا بين مثاب من الروجات الشرعية والأماء ،
ونم يهق عبيد اللوم إلا لما نسب إلى داود من روح دمرة قائده
و أوربا ، بعد تعريضة لقتل ن اخوته ، وما نسب إلى سلمس من بطارخته
لاشدي روحاته في إقامة شمس المظلمة للدين

على الأماح انشقق عشر من حجر صوميل الشامي يقول غني ماني
داود « أنا حطك ملكا نبي ، برأيتك وأمقدت من بعد تناول وأصيتك بب
سيفك ومساء سيفك » لهذا أضرب امرأة « أوب » لك امرأة ؟ »

وفي الأصحاح الحادي عشر من هذا الملوك الأول أن الملك بسميا
 في أحب نساء عرسه كثير مع من هو من آيات وعموميات وأوردها
 وشيدها وبجسمها به فأنطق سليمان هؤلاء بالحكمة ، وكانت به بسميته
 من أبناء لبيدات وشبهه من أسرى ، وأما ما في قوله قلعه (١٠)
 ويقول نبيوليد صاحب كتاب (١١) دوح خلد في مصر

الأندلس» (١). «لا إن لملمود والتوراق ما قصد آياها شدد الزوجات على إطلالته» وفي كان بعد الدابة، بنصه، بالقصد، عدد الزوجات، وإن قرأتين، الملبين، وغيرهم من الأمم التي انحط بهم بنو إسرائيل كانوا جميعا على مثل هذه الشريعة في اتحاد الزوجات والأصهار»

ومما لاحظته معظم المؤرخين للنظم الاقتصادية من العبرانيين وغيرهم
الشرقيين - كتب لاحد بقوله - أن إياحه تدرج الرواجات على إطلاقه ،
مصحوبة بإعادة التبري على أنواعه ، وهي حقيرة كما يؤخذ من الأسماء التي
كانت تطبق على انقباض المملوكات في مصطلحات العهد القديم ، فكان لذلك أن
ملك ما شاء من أمه وسريه وجارية ، عدة وسعيه من لصلته المملوكات
بالمسبي أو لشراء ، وقد يؤخذ من بعض النصوص الإسرائيلية في كتب العبرانيين
أنهم درجوا مختلفات في الترتيب الاجتماعي ، فصفت أمه عنه ، ولكن أبو حده
ممن قد تذكر بأنم جارية في موضع ، واسم مه في موضع آخر ، ويورد
هذا - على الأرجح - إلى حالة المالك لدى يستطيع أحيان أن يخصص
بخدمته امرأة حادثة غير المربة ، ويحتاج أحياناً إلى استخدام السرية
في أعمال البيت كلها ، تقوم به الزوجة عدة حيث لا توجد الجارية
أو السرية ، وأيا كان عهد النساء المملوكات هن - مطيعة الحال -
لا يتساوين في المكانة لأبيهن ولا في عهد الثمر ولا في صفات الجمال
والذكاء - فممن من كتب محل عهد الزوجة العقيم يرمي الزوجة ، تتاد
بمثل ذرية بمصادك الروحة ، وينقل إليها جميعها في المرات ، وتظل
الصدقية أم لسي في مقام وسط بين مقام ذرية البيت والامه المملوكه التي

وكل هذه الاعمال هي الروحانية، فكل من كان يفتقد الروحانية لا يفرح له مبدء غير قصد الوثيقة الشريفة. **سواء كانت وثيقة روحانية أو وثيقة شرعية.**

ثم يعقب ويستزهدك فتوجه الانجاء إلى توحيد الروح إذا سارت الأمور على النحو الذي أدى إلى تقريره .

كذلك كانت أسمة الزوج في العظم فيه الاسلام ، وكانت مهبة - كما يرى - حجة شديدة إلى الاصلاح والتقويم ، ويصير كلامها في شريعة واضحة ، تصد من الانها المطلقة ، وتؤدي إلى الزوج المولى ، ولا نهى مع عدم الهدية أن تقدر ضرورة التي تلمى الزوج والزوجة ، وقد تلمى المجتمع كله ، إلى حالة ليست بالسوية ولا بالماتورة مع المشقة والاحتياط ، ويكتب تقع في الحياء عن كثره أو على قلة ، فلا يجوز أن تهبطا الشريعة التي تقدر مصالح الناس في حياتهم الدنيا ، وتفسد عبيها لحياتهم لنسبهم كما تحسه لحياتهم الروحية وهذا الاصلاح المتظر هو الاصلاح الذي جاء به الاسلام على اوقافه من حيث التشريع .

جاء الاسلام علم يسره بعدد الرجال ، ولم ياحه ، ولم يستحس ، وبكس أسخه وفعل عيب الاكتفاء بزوجة الواحدة ، وبمنه على محبل لزوج في مقصده الطمى والشرعى ، بميل العقم ، والحرص لتولية ، ويعرض لعروبة . وهي تجمع بين لحتم والعروبة مهبة - على كثير من السب - عند خلال النسبة لعددية بين الجسدى .

ويوم على ذلك أي حظا للمرأة حرمتها التي يتشقق بها منذ شريعة الاسلام في أمر الزواج ، لأن إيهة بعدد الزوجات لا يحرم المرأة حريتها ، ولا بكرها على قبول من لا ترتبها زوجا بها ، ولكن تحريم لتعدد بكرها على حالة واحدة ، لا تملك غيرها ، حين تلجأ إلى الضرورة إلى لاختيار بين الزواج بصاحب زوجة ، وبين عروبة لا يعولها فيها أحد ، وهذا مخرجها أن تعمل نفسها .

واتقرب القرآن الكريم العدل بين الزوجات في حالة اتعد على أن لا يريد عددهن من نرس

فانكحوا ما حب لکن من النساء ممنى وثلاث وربع ، فإن خيتم ألا تعدوا فواحدة ، سورة النساء آية ٣ .

ثم ذكر الرجال بصعوبة العدل حتى أن يعرفوا قبل الإقدام على الحرج

« ولئن شطبوا أن تعدوا بين النساء ولو حرصتم » النساء ١٢٩ ، ولا نصب أن الأمر في تحديد عدد الزوجات ملزم بدور إلى سؤال من أحد بعرض حدود التخص في الشريعة . فإن التحديد يقضى الوقوف عند حد مشارك عليه . ومن سبب يقتضى أن يكون عدد الكتيه في الحش ملكا ، ولا يكون نسمة وسمن ، أو مائة وواحدة ، إلا هدر لهدر لنسب لغب أن يكون العدد أكثر من ذلك ، أو أقصد من ذلك ، بمعنى فرق في التفسير ، وما من سبب يقتضى أن تكون درجة التفاضل في الامتحان خمس ، ولا يقتضى كذلك أن يجعلها ستم أو أرسين . وإنما يجب الوقوف عند حد معوم ، ويقتضى ذلك بعد أن يكون العدد اقرب إلى انحراف عطلوب

وعند حبان الزيادة الرجعة في عدد النساء بالنسبة للرجال ، لا يجدى أن يكون احد اثنتين وحسب ، إذ أن الرجل لا يتسارون في القدره على أعزاء الزواج كيمه كان بعدد الزوجات . ففهم من يحبس أن يعول زوجة واحدة ، ومعهم من لا يحبس أن يعول الكليات ، وبسبب أقسام ارجان على حسب هذه القسمة معلومة بولاية الأمر الخرفى على صيانة الحدود .

مسلا من من هبان من يستطيع تكاليف الزوجات اثلاث والأربع إلى جلب الذي ينعينه تكاليف الزوجة والزوجى ، وهذه موازاة منتهى عندها الحد لمخوله ، متى كان من ارجان أن تنتمى إلى حد معقول وحسب شريعة أن تقيم الحدود وتوضح انخطة المثل بين الاغتيل والاضطرار ، أما ما عد ذلك من التصرف بين الناس ، مثاته ثمان جميع لمحات التي يهمن الناس بعضها في مواضعها ، أو يستيئون الفصل والهم فيها على حسب أهوال الأمم والاحتياجات من الارتقاء والهجوط ، ومن البقرة والعدل ، ومن الملاح ولقد اد ، ومن الرخاء والقدم ، ومن وسائل الحينة على التعميم

المباحات الاجتماعيه وفرديه كثيره نأى بها الشريعة . ولكن لا تأخذ بأيدي الناس ليصنوا بتدويلات والمصرف فيها ، فليس أكثر من الطعام لمساخ ، وليس أكثر من أصرر الطعام بين يستقيصونه على غير وجهه ،

ونقص النبي غير هذا - كما نقص الحلف - حتردا كثيرة ، فكان هيبا
النساء إبرام عقد الزواج ببرهناتهن ، به نقصوا عقودا أبرمتها
المرأة ، ونفرت منها بعد لعنة الزوجية كما سيأتى في الكلام على الطلاق
وإذا آله القول الأحسن في إبرام عقد الزواج إلى المرأة ، فالتقوى
الاجتماعية تنهكم في حريتها ومخالفتها التي يرتفع بها لعانتها وأسمها ،
إذا ضربت عليها الرماية كما تضرب على القاسم والقامة ، وهي ترعه
أنه تصور كرمها ويحفظ عليها حريمها

الفصل التاسع

زواج النبي

كان النبي حلوات الله عليه خصوصية في أمر تمسك الزوجات ، جازت
به قبيل سريان حكم التعقيد بعد لا يريد على أرمع لسانه اسلمين
وأمثال هذه « الخصوصية » ليست بالشئ البادر عند تأسيس النظم
الاجتماعية بل تصام الانتقال من نظم إلى نظام لأنها شئ ترجح
مصحة النظم الجديد ولا يبقى تموله بالتعميم في جميع الأحكام
ومن شروطه لا يكرر بعد من نقصت به للمرة الأولى والثمرة الأخيرة ،
لأن تكرره يحمله نظاما قائما إلى حذف النظم الجديد

وقد كانت خصوصية النبي عليه السلام مبردة موصولة عليه غير قابلة
لنكرار ، لأنها الرنط بمصحة الدعوة في إبانها ولم يكن بدعوة رسول
سواء ولم يكر له غنى عن تلك الخصوصية في البلاد التي تألفت فيها
الدعوة الأولى ، وهي بلاد الأنصار وروابط المصاهرة والولاء بين الأسر
والبيوت .

وقد تفتاح الحكمة في أمصار الرسول بتلك الخصوصية إلى شرح
ويصاح .

أما الحقيقة الواضحة التي لا حاجة بها إلى شرح ولا إيضاح فهي قوله
تلك الخصوصية مما يعاب على الرجل أو على امرأة ، وحلها من شوائب
الهوى النفسي . ولو كان من المصالح المباح

لم يكن تلك الخصوصية لتمكين صاحبها من المتعة ولا سرق في مباح
لحاء البصية . في البيت الذي يشكو سوء فلة القوة والزينة ، لا يتعال
عنه إنه يت رجل تمكه أهواء نفسه ويعد على رشده ، والرجل الذي
حلك الشريرة لعربية ولا يمد يده لاعتزام الشريرة التي تكفي روحاته ،
ومعنى عن في الترف والزينة ، من يكون رجلا مطلوب الحق مسبقا مع
عجوانه أمة ووساوس الشهوات ، وليس بالرجل المحقق لطلب اللذة من

يتمس بها نفس به نبي الإسلام من عظام الأمور في هدى سنوات
معدودات ..

أما النساء اللاتي اجتمعن في بيت النبي فلم يكن عليهن مهانة يتحرن
بها ، أو يشمر بها أحد من أتريهين ، أو من عممة المسلمين ، اغتياهم
وغفرائهم على اصراء ، في كان دخول امراء في عداد أمهات المؤمنين
شرف لا يطلوه شرف ، ولا تصح مرأه من أمراء البيوت في حرمة حاسر ،
باتية أرفع من عده الكرامة ، التي تباظر بها سيدات العرب والمج
في أقدم المصور إلى آخر لزمان

وقد تقدم أن سليمان لحكيم جمع بين ألف امرأة من الحرير والإماء ،
كذلك في كتب العهد القديم ، وسنن اجتمعي في ذلك الحرم بأسرأت
مملوكات ، وسنن رضين به رضى عن الفرف والحاء ، في قصر يعلو على
انصور . أما سناء محمد عليه السلام فما أرحم من عن الختام في بيته على
الشطف والسكاف مال ولا جاء من جاء الأبهة ، السلطان ، وإنما هو حاء
نروح ترتفع إليسه امرأة بعدى الرسالة . ولا يرقعها إليه هدى سوى مداه
وإذ تفرحت الخصوصية التي انفرد بها محمد عليه السلام عن ماله
تنشئ الرجل أو المرأة فقد ظهرته الحكمة فيها أنها ظهور ، ومنع كل
وجه من وجوه تمثيلها وتنسوها ، إلا أن تكون في سبيل الدعوة ، لا في سبيل
محمد ولا آل محمد ، وإلا أن تكون تطلعا نارا للحكمة التشريع في معدد
الزوجات وهي تدعيم النظام الاجتماعي بالمعصرة ، وميلان المرأة من الفتنة
ومهانة ..

فقد جمعت المعاصرة أبو بكر وعمر وعثمان وعليها في رساله واحدة
في رسالة الذين ..

وقد كانت كل سبعة من أمهات المؤمنين تأوى إلى البيت الطاهر ،
فإنما تأوى إليسه اجتماعا من الارتداد والوقوع في أيدي الحافدين عليها
من خويف ، أو تأوى إليه أكرامها عن منزلة دون منزلتها ، أو عن عرصها
على من يشارع أهلها ممن لا يرعون نبيها ، وكان يمين النصف ، والمقر ،
ومن لا مال لها ، غير التأيم ، أو انعرص المسكرة على أشرف انقزم من

أندادها ولا يخلو ذلك احصر من غصاصة عليها ، بما يساورها من الظن
يقوله خيء من النفس وطاعة لأمره ، ، يس لا يشاد النبي النبى بالسيدة
على عرسه للزواج من أصحابه غير سبب واحد يطله النصف والكابر ،
لأنه لا يقل المهم المعقول على وجه آخر : وذلك هو جو المظهر ، والمز
مداراة المؤسة أن ينتهي بها إيمانه إلى الحطة والمرار ، ويكنى أن تسرد
أسماءه ويذكر أحوالهن عند سناء النبي من ، لتقطع الظفة في أسب
كل زواج بهته الحموصية النبوية

.. ولم يحدث قط أن اختار زوجة واحدة لأنها طيبة أو وسيمة
وتم من بعدواها قط إلا التدر ، التي علم قومه جميعا أنه اختارها لأنها
بت صديقه وصحة وحليته من بعده . أمي بكر الصديق رضى الله عنه

هذا الرجل الذي يفتري عليه الأئمة الكادبون أنه الشجون الحارق
في ذات حه - وقد كانت روجه لأولى تقارب الخصي وكان هو في
عمور سب لا يحرر الخامسة والشرين وقد اختارته زوجا بها ،
لأنه نساء الأميين عينا شتهر به بين قومه من صفه وسيره ، وميما لقنه
به عارده وعلومه الصديق والأمانة فيه ، وغاش معها إلى يوم وميما على
أحسن حال من السيرة الطاهرة ونسمة النقية ، ثم وقد لها بعد موته انم
يكر في روح حتى حرمت عليه سبعة مسلمة رقت له في عزلة فحسبت
له السبعة عشة بوفيه ، ولم تكن هذه العناة الحريه عيه تمنح منه
كلمة لا يرميها غير نقائه على روحه الراحلة ووفائه لذكرها ،

« رعايتي عليه السلام بواسطة من أمهات المسلمين لما ومفت
به عده من جمال وبصارة ، وإنما كانت حله الرحم والمز من على
المهانة هي ابتاع الأكنو في نفسه النرفة على التفكير في الزواج من
وممثلهم كم أرامك مؤيبت نفسك للأزواج أو الأولياء ، وليس من يتشتم
لحبتين من الأكنه . لكن إن لم يفكر فيهن رسول الله »

« بالسيدة سودة بنت زمعة مات ابن عمها اختلج بها بعد عودتها من
الهجرة إلى الحبشة ، ولا مأوى لها بعد موته إلا أن تعود إلى أهلها ،
فيكرموها عن الرد أو تتزوج بمكر كفاء لها لا يريدها »

« والسيدة هند بنت أمية - سلمة - مع زوجها عبد الله المخزومي ، وكان أيضا ابن عمه ، أصابه حرج في دونه أحد فتخفى عليه ، وكانت كلفة منقطة فاعتذرت إلى الرسول عليه السلام بمسها ، لتخفيه من خطبها ، فوساها قفلا . « صلى الله أن يؤجرك ك مصيبك ، وأن يظفك خيرا » فقالت : « ومن يكون خيرا لي من أبي سلمة ؟ » وكان الرسول عليه السلام يعلم أن أبا بكر وعمر سعد خطبها باعتذار بمثل ما اعتذرت به إليه ، فطلب شطرها ، وأعاد عليها الخطبة حتى تقبها .

« والسيدة هند بنت أبي سفيان مكرت أباها ، وهجرت مع زوجها إلى الحبشة ، فتمصر زوجها وهاربا في عرتها مع رجل يكفلها ، فأرسل النبي عليه السلام إلى النجاشي يطلبها من هذه المرأة البهينة ، وسقدها من أهلها إذا عادت إليهم رابعة بن عجرة في سبيل ربيها ، ونزل في الزواج بها مسسا يصل بينه وبين أبي سفيان بوشيدته الحب فتبين له من حبسها ، فاعادها إلى مودته فخرجه من ظلمات الشرك إلى هداه الإسلام .

« والسيدة خديجة بنت خويلد كانت مومنة ، كانت بين أسلافها في غرود بني المصطلق ، فأكرمها النبي عليه السلام أن تدعى له أمة ، فترجعها واعتقها وحسن المسلمين على إعتاق مسيحيهم ، فأسسوا حبيبا وحسن إسلامهم ، وقرعها أبوها من انهودة إلى البقاء عند رسول الله فاحتارت البقاء في حرم رسول الله .

« والسيدة حفصة بنت عمر من الخطباء باب زوجها ، فعرسها أبوها على أبي بكر مسكت ، وعرضها على عثمان فمكت ، ريث عمر أسلفه لنبي فلم يشأ أن يمن على حبيبته وربيته بالمصاهرة التي شرب بها أبو بكر قتله ، ورسد . « يتزوج خلف من هو خير بها من أبي بكر وعثمان .

« والسيدة صفية الإسرائيلية بنت سيد بني تميم فخرها النبي بها أن يدها إلى أهلها ، أو يجمعها ويزوجها ، فضايرت البقاء عنده على العودة إلى زوجها ، وبولا الفلق الرقيق الذي صلت عليه نفسه الشريفه ، فبطلما أن الامة حرة بغيره يعيد صواحبها بالقصر ، ولكنه سمع إحدى صواحب بنيها بغيرها ، ففعل بها ما مضى من رويات لا يخرج

من هذا الحي . إنك قد نطقت بكلمة لو القيت في البحر سكرته ، وجبر خاطر لاسية العربية أن تسمع في بيت ما يكرها ويغض عليها .

« والسيدة زينة بنت جحش - أمية بنته - زوجها من مولاه ومقتاة زيد بن حارثة ، ففوت به وعز على زيد أن يروصها على طبعته ، ففعل له انبي في طلائها . فترجعها عليه السلام لأنه هو المسئول عن رواجها . وقد كان جعلها خفيها عليه قبل تزويجها بمولاه ، لأنها كانت بنت عمته ، يراها من طقولاتها وم تفاجكه بروعة ثم يعيدها .

« والسيدة زينة بنت خزيمة مات زوجها عبد الله بن جحش فقتلا في دونه أحد ، ولم يكر من المسلمين القتل في مصته من تقدم لفطسها ، فتكف بها عليه السلام . إذ لا كليل بها من قومها .

« وهذا هو حريم المشهور في أمهات المبشرين وأمهات المبشرين ، وحيدة هي سويح المنس التي استصحب على المسلمين أن يجمعوها على حبسها ، فم يجمعوها لها . لا أنها بواعث إيمان عارق في لذات الحسن ، شهرون .

« وقد أقدمت في الروايات في سب لا يحسن فيه من الروايات بجدد الروايات في سبب الكثرين من الرجال . مسلمين كسوا أو مشركين . وعلى هذا الشريف الذي لا يدانيه عبد لمرأة المسلمة شرف الملكات أو الأميرات ، سقطت عليه شدة العيش في بيت لا يضمن فيه من الطعام والزينة فوق الكنف ، واللتامة بأبصر اليسر . فافتتن عني ففاحت في الأمر ، واجتمع بينه لزيد عن الثقة ، وهي موفوره بنية و شدة أن يزيده في حبسه من المومنة ، فلا يفرمه أحد ولا يحنسه عليه . إلا أن الرجل لحكم في الأنفس والأموال - سيد لمريضة العربية - لم يستطع أن يريده عن تمسيه وشهيه من الطعام الزينة ، فأملها شهرا وخبره بعد أن مفارقه ، ولين منه حق المرأة المفارقة من الخدع والعصى ، أو يقبل ما قبله لنفسه مع من ذلك العيش الكفف .

ولو أن هذا الخبر من أخبار بيت النبي كان من حوادث مسيرة المدينة التي تخفى على غير الملمين المتوسمين في الأطلاع ، لقد كان لمسلمين بمس العذر فيما يفترونه على بني الإسلام من كذب وبهتان ، إلا أنه خيرهم كمال من اطلع على التبرك روي على أسباب التبريل .

وليس منها ما هو أشهر في كتب التفسير من أبواب نزول هذه الآيات في سورة الأحزاب :

« يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تنّون الحياء لديا ودينها فاعلمن أنهنّ منكم وأمركن سراجا جويلا . وإن كنتم تنّون أن الله ورثه والدار الآخرة ، فإن الله أعدّ للمعصيات عذابا عظيمًا »

سورة الأحزاب ٢٨ ، ٢٩ .

« وأما المؤمنين الحصر في ذلك بالتمتع من خفايا السيرة النبوية ، فخلق أن يطلع على تفاصيل هذا الحادث عذابه ، لأنه ورد في القرآن الكريم نصا بالمسألة التي يتكلم المشركون حتمًا فون على استقصاء أخبارها ، وإحصاء ثواردها ، وهي مسألة اروج وبعدد الزوجات . وقد كان لهذا الحادث الفريد في سيرة النبي صلى الله عليه وآله من الحوادث التي عرفت بها البشرية الإسلامية حين كانت في مثلها المصدودة ، حيث يربطها لحظة الأسماء »

« حدث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « كما تحدثت أن حسن من عمل الصالحات خروما ، فمزل صاحب يوم نوبته ، فرجع عنه ، فمضيه . من ضرب نكاحا وقال : أتم عمر ؟ ففزعته فخرعت إليه ، وقال : حدث أمر عظيم ؟ » قلت : ما هو ؟ أجاب حسن : قال : لا ، بل أعظم منه وأخول . » طلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ساءه »

« ولما تألبت ربات استنكروا ويلحقن في طلب المزيد من النكاح ، فبث النبي في داره دعويا بامر ، وقيل أبو بكر فوجد الناس يطوسا لا يؤذن لأحد منهم ، فحفظ الدار ولحق به عمر من العطات ، فوجد النبي وأجبا وحسبه تماؤه ، فأبى أبو بكر أن يرى عنه نكحة يدومها ، وكأنه هطن لسر هذا الوجوه من النبي صلى الله عليه وآله لمجتمعات حوله مقال . « يا رسول الله ! » هو رأيك ست خروجة . » سألته أسئلة ففقت إليها فوجأت عنها . » أسقط النبي وقال : من حوولي كما ترى يمانكني الثقة ، فسام أبو بكر إلى عنته يجا عنتها . وقام عمر إلى حكمة بها

عنها ، ويقربان : تنال رسول الله ما ليس حده ؟ فليس والله لا يسأل رسول الله شيئا أبدا ليس حده . »

« وهو الذي نساءه شهرا ، بهيئته أن يشكون بعد الرواية يوم البقاء على ما يسره له ومن من الرق ، ويبقى الأصراف بعتة . ومدا بالمعدة عاقبة هقل . » إلى أي أريد أن أعرض عليك أمرا أص لا تتجلى فيه حتى تمتشيت نوبتك ؟ سألته : « وما هو يا رسول الله ؟ » فعرض عليها الخيرة مع سائر نسائه في أمرهن . فقالت : « أفيك يا رسول الله أمتشيت قومي ؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة » . وأجاب أمهات المسلمين بما أحدث به السيدة عائشة ، وانتهت هذه الأزمة الحكيمة بسلام ، وما استطاع صاحب لنا - وهو يومئذ السيد الفخر رجل في العالمين لمصور - أن يخط أزمة داره بغير إحدى اثنتي أن يصح اللية على غرق نسائه أو يقنع منه بها للنبي صلى الله عليه وآله .

« أم مثل هذا الرجل يقال إنه طيب سواب وأب داب ؟ »
« أعين منه يقال إنه انتهى من رسالت مارا بيمينه الدعاة عبر الهدية والإصلاح »

« ميم كان هذا العهد بأحوال الرسالة وأحوالها من معة المضاف إلى من لا منعه بها فمن صاحبة التوفيق والطهر أو من صاحبة الحية والهرمة ؟ »
« إن لا يربوها مخطرا بأمره وحيلته ، مستخذة بسجوة من وطبه والحره بين أهله ، ليسوم نكته بعد ذلك عشة لا يقنع بها أقرب الناس منه وأعلاما ثريما بالانتقاء إليه ؟ »

« لمن أجل الصلح ولذاته بقروج الرجل ممن تزوج بهن ، وهو سيد الجزيرة العربية وأقرب رحبها على اصطفا النساء بصلح من العرائر والإماء ؟ »

« وهل يزوج بين الثموس المسروق في أدات الصلح ليقنن به في اجتراء سرف والدية وشلوصي الصمير بإيمان يانه وبعده الدار الآخرة ؟ »
« وما نأربه من كد ذلك إن كان به هارب في طوبه غير مأربه في العلامة ؟ »
« وعلام يحاهد نكته ذلك الجهد في بيته ومن قومه إن لم يكن له رسالته يؤمن بها بسم تن هذه الرسالة أحب إليه من النعمة والأمان ؟ »

« إن المتزين المحترمين لم يكتفوا من سلفة الزواج في الحياة البوية
مطلقاً يصيب مجدها ، أو يميم دسوسه من ورائه . ولكنهم اكتشفوا معها
حجة لا حجة مثلاً في الدلالة على صدق دعوتهم ، وإيمانه برسالتهم ، وإخلاصه
لها في سره ، كإخلاصه لها في علانيته ، ولولا أنهم يمولون على جعل
المستمعين أنهم لا يجهلون أن السكوت عن مسألة الزواج عاصية أشد من
اجتهادهم في التعمير بمسائل المصنفين »

وقصدي القول في الخصومية النوية لها لم تكن « متبارزا » من
اميلار انقوة السيطرة لشجير المرأة في مرحلة خيلاء الرجل ، وجبه لسمعة
الجسدية - ولكنها كانت آية أخرى من مسكن الأمكنم القرآنية فيما نسر
عليه من عصف على المرأة وحيطة بما من موافق الجود والإدلال

الفصل العاشر

الطلاق

من الطلاق ، كما نرى في الزواج ، في المحصلت الأولى على عادات فقيرة .
الذكر يطلب الأنثى ولا تطلبه ، والرجل يخطب امرأة ولا تخطبه ، وإيراي
في الزوج أن لا يرى في الطلب البغية ، وعلى هذه البغية ، الفكرة دوج نظام
العلاق مع الزواج يستلزم لرجل وحده ، وحرى الناسون على ما جرى
به العرب بعد قيام القوميين بعد المرحلة البدائية من مراحل الاجتماع

ولم يتدخل اجتماع في مرسد الطلاق ، لا بعد فترة طويلة . ظهرت في
حالاتها الحاجة إلى إثبات الطلاق في سجل محصوه ، لعلاقته بالثبات النسوة
والبراث ، وتفسير عقوبة لصيانة ، وإهانة المودة إلى الزواج للمرأة التي
انفصلت عن طريقها ..

ول هذه المرحلة تقدرت مراسم الطلاق في شريعة اسرائيل ، وكل
ما اشترط فيها على الرجل أن يعطي امرأته بطاقة وثيقة بالشرح ، وبما
أن تزوج بشيء بعد ذلك ، ولكنها لا تعود إلى زوجها الأول إذا طلقت
من زوجها الثاني أو بوق عيب ذلك الزوج . يفصل ذلك في الامصاح
لوانع والمضرين من سفر مكتبة حيث يقول « إذا أخذ رجل امرأة
وتزوج بها فلم تجد معه في عيبه ، لأنه وحده فيها عيب نسى وكتب
بها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها ، وأطلقها من بيته ، ومنى هرجت من بيته
دعت وصارت لرجل آخر . فلم يأنسها الرجل لأصبر وكتب لها كتاب
طلاق ، ودفعه إلى يدها ، وأطلقها من بيته ، أو إذا حاث الرجل لأصبر
الذي أخذها ريجة - لا يقدر رجلها الأول الذي طلقها أن يعود يأخذها
لتصير له زوجة بعد أن تنجست ، لأن ذلك رجس لدى الرب » .

وورد في الطلاق على أسلوب معزى في الامصاح الثالث من كتابه
لوعيا حيث يقول ، وهو بعد في اسرائيل . « إذا طلق رجل امرأته فانطلقت

من غنده ومبارت لوط آخر فكل يرجع إليها بعد إلا تتجس تلك الأرض نجاسة ؟ »

وجرت مراسم الطلاق على حسب هذه التسمية إلى ما بعد ظهور المسيحية ، إذ روى إنجيل متى أن السيد المسيح سئل عن الطلاق فليستكره لنفسه ، وحققه بالتزوجة إلى اقتواف الرذيلة « وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق - وأما أنا فأنزل لكم إن من سأل امرأته إلا لئلا يرى يجعلها ترمى - فمن يتزوج مطلقاً فإنه يرمى »

ومعتمد على إلى حديث الطلاق في الإصحاح السابع عشر من إنجيل « وعاء - إليه الفريسيون ليعرود فقال - هل يحل للرجل أن يطلق امرأته سداً ؟ فأجاب - بل لهم - « أما قد أنتم إن الذي حل من السدة حلتمها ذكراً وأنثى ؟ » وقال - من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه وينتقل بامرأته ويكونان جسداً واحداً .. »

وتتخذ طائفة كبيرة من أتباع الكنيسة البروتستانتية على نص في رسالته كورتوس الأولى لإحالة التقدم من الزوجين إذا طال هجر الرجل لامرأته ، قال في الإصحاح السابع - « .. أقول لكم أنتزوجون والارامل إنه قد نسم إذا اشتوا كما أنا - ولكن إن لم يصطوا أنفسهم مستزوجين لأن التزوج أصله من انتمسك ، وأما المتزوجون فأولهم - لا أنا بل الرب - أن لا تنافق المرأة زوجها ، وإن عارفته فليكن غير متزوجة أو لتصاح رديها ، أو لا يترك الرجل امرأته - وأما الذين يقولون لهم - أنه لا الرب - إن كان أحدهم له امرأة غير مؤمنة وهي ترضى أن تسكن معه فلا يتركها ، والمرأة التي لها رجل غير مؤمن وهو يرضى أن يسكن معها فلا يتركه - لأن الرجل هو المؤمن مقدس في المرأة - والمرأة غير المؤمنة مقدسة في الرجل - ولا تغسلواكم بمسحون - وأما الآن فهم مقدسون - ولكن إن عارقت غير المؤمنين فليفرق - ليس الأخ والأخت مسجداً في مثل هذه الأحوال .. »

ولقد تحول كثير من المسيحيين في القرون الأوربية والأمريكية إلى نظام قانوني يحير ثلاثة أحوال في حكم الطلاق ، وهي إلحاح عقد الزواج ، والتمسك به الزوجين ، والتمسك بهما مع بقائه للصفة الشرعية سراج ،

ويجوز للرجل والمرأة أن يتفقا على الانفصال ، وتساوية أمثل المتفقة تربية لأبناء ، والتمسك عليهم ، وتكوين كل زوج من حرية التصرف في حياته ، مع إسعاد حق الزوج الآخر في معاشته فيما بدا الفيتة بروحه ، وتبرم المحكمة عادة أمثال هذا الاتفاق كما افترضه « ملودن » ، بعد بسديء المحكمة بتقرير الانفصال وتروحه ، إذا لم يتم الاتفاق عليه بينهما ، ويضمن في عادة الاتفاق إثبات انقضاء البديء أو سنية ، أو استكمال أخلاف وصورة التوفيق به ، ولا يصدر هذا الاتفاق خلافاً لاختلاف ، ولكنه يترك انقضائه ممكناً حتى يصمم أحد الطرفين من الإدانة الكاملة ما مؤيد الصفة

، مستبعد كل من الزوجين أن يحصل على الحكم بإلحاح عقد الزوج ، « .. » أن نقدم بينهما على القول بانه شيء من الحداق أو التزوير ، وست أن أحد الزوجين كان في حالة من حالات القصور عند موافقته على عقد القرن ..

ومصر الولايات في أمريكا الشمالية تكتفي بإثبات حصول الرضى مرة واحدة من الزوجة لإسداء حكم الطلاق ، ولا يكفي ذلك في حالة وقوع الرضى من الزوج ، بل يقتضى إثبات معيشته غير الشرعية مع امرأة أخرى ، لتعليق امرأته منه ، ولا يلزم تقديم للشهود على وقوع الرضى على حراى من أولئك الشهود ، بل يكفي إثبات السلوك الذي يقضى إلى العلاقة الجنسية لتقرير وقوع الجريمة ، ومن أمثلة هذا السلوك نزول الرجل والمدة في العادي كأنهما زوج وزوجة ، وجتماعهما في عزلة مريبة كما يجتمع الزوجان الشرعاني

ومن إسبب لطلاق وقوع العينة المنقطعة من الزوج أو الزوجة ولا يحل الطلاق إذا بدأ بعد ذلك من الزوج العاقب لا يزال بقيد انحياء ولا حاجة إلى الاثبات بالشهادة أو قينة مع اعتراف الزوج المتهم بتهمة الرضى لموجهه إليه ، وتسمى انفعيا التي يلجأ إليها الزوجان إلى الحصول على حكم الطلاق بالاعتراف ، قصايا القسوة أو التزوي Collusion and Chaperation وربما حدث التراضي على طلب الطلاق مرة

غير أنه الركن في الولايات التي تكفي بوقوع القسوة البدنية أو المعنوية لتطبيق المودة من زوجها ، فيعرف الزوج بعقوبته المرونة ويصدر الحكم بناء على هذا الاعتقاد (١).

والمعروف أن معظم الحكومات الأمريكية والأوروبية حافظت على أصول حكم الطلاق في الكتب الدينية ، ولم تطلع العمة الأولى بينه وبين القوانين الحديثة ، وكل ما صوته في هذا الحكم أنها توسعت في تفسيره وقياس بعض الحالات على ما يشبهها من الحالات التي جاز فيها الطلاق بموجب الكتب الدينية ، بيد أن الحكومات الأخرى التي قطعت صلة التشريع الحديث بالتشريع الديني ، قد غيرت أساس التشريع كله في مسائل الطلاق والزواج ، وجعلته على التماثل العام الذي يرفع نفسه العقود في صوته ، فلا يمتنع المأوؤ والمعدول عنه لسبب من الأسباب التي يختارها المتعاقدان أو يختارها ولاية الأمور



شريعة القرآن الكريم في مسألة فحشاء شرعية دين ودنيا . وكما ما اختلفت عليه من حرمة الدين ، تابع ما شرع به الزوج من المصلحة النوعية والمصلحة الاجتماعية ، فليس مما يبيحه الإسلام أن يتخذه الزواج من مصلحة المصلحة الاجتماعية ، لتلبيح لمصلحة العبدية عليه عن منيعة الأزواج ..

وفي هذه الشريعة القرآنية هوافر جميع المرحص للسدة التي لجأت إليها أهم المصاراة ، لتيسير المصلحة بين الزوجين مع المحافظة على الآداب الاجتماعية

ولكنما شريعة إسلامية تظهر إلى روائع الرجال والنساء ، وتتجنب التشديد الذي لا يجدي شيئاً في المحافظة على قدسية الزواج ، ولكنه يلحق الزوجين إلى اتصاله للجلوس منه أمام القسوتون ، وإن كانت أظهر من أن تمنع من التخصص منه أمام الناس

الطلاق في الإسلام تسوء مكرهه ، لأنه ليس الخلل إلى الله كما قال النبي عليه السلام

ويذهب هذه القسوة بما يستطاع من عمل للزوج والزوجة ، وعمل الأسرة والتعاونين في حد الأمر على الهداية والإصلاح ، فإذا أهل بسوء استفاد المسائل المستطاعة فما من حل آخر يعني عنه ، وما من تعصيم له إلا وهو أشد تسوء وأقل نفعاً من التحليل

ففي الرجل « أولاً » أن يرجع نفسه إذا أضر أسيرة من رجسه ، حتى أن يكره في المصير على هذه الفترة العروسة خير لا يعمه .

« بلز كرهتموه من نفسي أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كذا » سورة البقرة ١٩

مبدأ آخر من مبادئ هذه الفترة انعازسه ، فلا يتعجل بالطلاق عائش ، ويبدأ بفترة راحته ، يقرنها بالدية ليه ، ولا يؤخذ فيها باللعو ادى تخري من يئس على غير قصد من تملكه

« لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم ، والله غفور حليم » سورة البقرة ٢٢٥

وفي ذلك الله بالعلم في هذه الآية ، إشارة إلى العلم الذي يطلب من الزوج أن يعطى به في هذا المقام ، وهو يرجع نفسه قبل البت بالدية على لطفة الراجعة ..

وقد كانت الزوجة التي يقسم زوجها أن يجرها ، تدرى في بيته أو في بيت أهلها ، ونظراً على هذه الحالة محقة لا تأوى إليه ، ولا تخرج من صمته إلى غير أما محدود فأوجب القرآن للكرام على الزوج من يشرب إليها في أمد محدود ، وهو أربعة أشهر ، تهدأ فيه سورة العصب ، ويسود فيها الرجاء طويته نفسه ، على أن يستعيد لعشرته الأولى شيئاً طعت عليه انقذه في ساعة العصب أو الصلحة ، وعلى أن تظهر الأمومة المتكافئة ، غير أن الأب والأم يرمان يمز مديهما أن يبتز وينقسم إلى عبر رجعة ، وعلى أن تلبس المرأة بعد شماس ، ولن تستحضر المحبة والوثاق بعد استنصار اللفة وانقسام ، قليل طلت لولة شمير بعد شعر وتم يسمو ما من أسفيس ، فابت في الطلاق إذن إنما يشرع انقراض الكرم رحمة

بالمرأة المعلقة ، ككولا يسميها الرجل لن زوجها بقيد الزواج ، ويطلق

اربعانها بكافة لها ، وإحصاءا لأمراها ، واستعدادا منه بضمها ومسيرها

« بلدن يؤلون من نسئهم تربص أربعة أشهر فإن دعاها فإين الله

غفور رحيم » وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم ، والمطلقت

بريسر ما تضمن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكفن ما خلق الله في

أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويعوهن لحق بدهن في

ذلك إن أريدوا إسلاحا ... » سورة البقرة ٢٢٦ - ٢٢٨ ،

« طلاق مرتان ففك بك بمسروق أو تبريع بإحسنان ، ولا يصح

لكنه أن يأخذوا مما آتتكمهن شئاً إلا أن يحلفن ألا يقبها حدود الله ،

فإن عتتم ألا يقبها حدود الله فلا جراح عليهما فيما اقتضت به ، ذلك

حدود الله فلا تعتوها » سورة البقرة ٢٢٩ ،

وهذه الآية تحتم للمرأة حنثها في المال ول الحرية ، فلا يصح لرجل

أن يسلك عنها شيئاً من هذا ، ويحق لها أن تأبى العودة إليه

إذ راجعها من أظف الدقة ، وعليها أن ترضى عن المداق المتأخر ، لأنها

خلقت أن تسعة من واحد الزوج وهي تعنى نفسها من واجبا

ويسمى فصل الثبت بطلاق المثنى أن تقدمه الوساطة بالصلح ،

و المشاورة بين الأهل والأقربين ، وتمك المرأة التي يخاف نفور زوجها

أن ترضى إمكان الوقاق وحسن الخاتمة صل أن يعود إلى معاشرته زوجها :

« وإن امرأة خافت من بعلها شوژاً أو إمرأها فلا جراح عليهما

أن يعلها بينهما صلح ، والصلح خير » وأخضرت الأنفس الشح »

ولك نصيبا ونفقوا فل الله كر بما يعشرون حيراً ، ... » وإن

ختمتم بميثاق بينهما فامشرا حكما من أهله وحكم من أطبا إن يريدوا

إسلاحا يوفق الله بينهما ، سورة النساء ٣٥ ،

وقصة الصم التي طلت ميب المرأة تسريحها من زوجها لمعها إياه ،

مشهورة في كتب الأخوية والنفاسير ، وحلاشتب : « أن جميلة ست

عبد الله بن أبي سبل ثابف تنصر ، زوجها ثابت بن قيس ، فالت رسول

الله من الله عليه ولم مقالة : « لا ، ولا ثابف لا يجهم رأسي

ورمسه نبي » ، ولله ما أغضب في دين ولا حق ، وكفى أكره الكفر

في الإسلام وما أطيقه معها » يسى رفعت خلف انشاء ، مرأيتك أبيل في عهده

من الرجال ، بلدا هو أشدهم سواداً وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً »

فقال رسول الله لها « أتردين عليه حقيقته ؟ » قالت : « أردده -

وأزيدة عليها » . فقال صلى الله عليه وسلم : « أما الرائد فلا » .

وسمى بالطلاق ..

والصم حق للمرأة يكرهه الإسلام كما كره الطلاق ، ولكنه حق من

حقوق الزوج لا يملك عهده ، وفي الحديث الشريف « أيب امرأة سالت

زوجها طلاقاً من غير مأس فحرام عليها راتحة صم »

أمرأة مثل الطم ، حل من حلول الحرج ، ترضى منه المرأة أن ترضى

عن صداقه ويفقتها لتسبيها الرجل من وحائتها الزوجي ، ويقب الطلاق

مع الأنثى على المرأة كلما سجدل لومسه بين الزوجين عسوة

الرجل ومثله في مسمه زوجته ، واتحاده الزوج مصره لا مستقيمه المش

عبد علي به المودة والأكية ، وإسناداً ، مسرود

ومن ثم يرى أنه ما من وسبه تنجح في احتباب الفرقه بين الزوجين

لم يصح هذا الفران الكريم لكل منهما ، فما طلب من الرجل أو يطلب

من المرأة ، وترجي منه الفائدة في الواقع . فرد تفوت حيلة المراجعة

بأنظار الملة ، وبطلت بسدعي الصلح بين الأهل والأقارب ، وأسفرت

تحرية السلف الراجعة مرة بعد مرة من غلة كثرات سجد ، وسرر على

الفرق ، نيس في الزواج من بنية تعنى من الطلاق ، ولعل بطلاق

يرمضد أرخم بالمرأة من علاقة معصه ، تربطها برج ، يعفوه ويصم

عليها بقوى ، ويتصم بها الموب ليسد عنها ، إذ كانت عثرها علا في

عقله لا يصمه غير الموت ، ولا يبداء في هذا الطلاق لزوج ولا سوجه

ولا ... مع . إذ لا بقء إلا لنسء يصح أن يسمى بالزواج

وهنى به الفرق الذي لا خلة فيه ، تكلفت أشريفة للروجة السئلة

نكر ما يرم رجس من حقوقها ومصلحتها ، ومن حقوق أبنائها وأبائهم ،

والى أشريفة العده ... صمد على حد ... الأك وحده ارعابه السائه ،

لأنها مسئولة عن حق الأم حياته ، حتى تستوفيه بها غاية ما يصح الشرائع من استيفاء ..

« وللمطلقات متاع بالمعروف حطا على الحق » ^{البقرة ٢٤١}
« وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكنهن بمعروف أو سرخوهن بمعروف » ^{النساء ٢٣٦}

« ومنهون على أبوسع قدره وعلى أفقر قدره متاعا بالمعروف » ^{البقرة ٢٣٦}
وعلى لزوج أن يوفى الزوجه حظها من متاعها كاملا لا يستحق منه شيئا لنفسه .

« وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قسطا فلا تخطوا منه شيئا ، أتحدونه بذلك وإنما بيننا » ^{النساء ٢٠}

ولا يحق للرجل أن يخرج المرأة من بيتها قبل وفاء عدتها فيه .
ولا تفرح من يوتئس ولا يخرج إلا أن تأتي بحدثة مينة .
^{سورة الطلاق ١}

« مسكنون من حيث مسكنتم من وحكم ولا تصبروهن لتصيحا عيبن . وإن كن أولات حمل فامسكوا عليهن حتى يملأن حملهن . ومن أرضن لكم فأتوهن أحورهن وأثمنوا بفسقكم معروف . وإن تيسر من المسترضع له أخرى ، فيفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فيفق به ، آتاه الله لا يكلف الله نفلا ، إلا ما آتاه ، سيجعل الله بعد عسر يسرا » ^{سورة الطلاق ٦ - ٧}

« ولواثبت يرضع أولادهن حولن كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة . وعلى الموفد له رزقهن ومسنوهن بالمعروف » ^{سورة البقرة ٢٣٣}

ولم تحب آية عرض للطلاق من توكد الأمر بالمعروف ، والنهي عن الإساءة والإبداء ، والحد على مبادئ التمسح والتفسير ، وهي : الخطئة التي لا مقترح رواها على الشريعة وأحكامها ، وإنما يكون الاقتراح على

أشلاق الناس وعولتهم وأدابهم ، وليسف هي مما تتولاه الشريعة بقوة الأحكام ..

ومن الصن أن يفرق على الناس طلب الكمال ، ولكنه الأمل المستور غير الواقع ، وغير ما في الامكان ، بين مختلف الأمم والمعصور . وما من شريعة فيه أو بمسئنة تصد الناس عن مثل الأسي من الكمال المقصور على أنفسهم وحواء ، ولكنهم إلى أن يدركوا شأؤهم من كمالهم لا يبيعون أن يحرق أنفسهم على عسره بصورة قصيره ، بل حرية النفس .
بلازم على أن يجمعين

المجلد الحادى عشر

الممرارى والإماء

شرع لإسلام الحق ولم يشرع فرق ..

فلم يكن لخلق الله في شرائع الحضارات التي بسلات ظهور الإسلام .
أما فرق الله كان معروفًا متروكًا به في كل حلالة قديمة ، وكان حكماء
الأعم يقربونه ويرتبون نظام المجتمع على بقاءه ، ويمتص حكماء في طبقه
أفلاطون وأرسطو من فلاسفة اليونان . وكان رؤسب الأديان يعتبرونه
قضاء عادلًا من الله . ويأخرون الصد بطة أسيد ، والاحلام به ، كما
يتليح ربه ، ولو لم يكن على دينه ، وكان ساسة الأمم يعمسون على
السيد على عبده ولا يعرفون للمد تلك تعبى الدولة ، حتى حتى الحياة
ولا يحطرون على تبال لم ترى نظام معروف في المصور الحديثة ،
نظرة واجتمع بعد تحريم مع التمتع وشراك منه أرباطة القرن التاسع عشر .
من الواقع أن الفرق على أصوله التي نشأت في عصور الهجبة باقى إلى
القرن العشرين ، وسببى بعده ما بقيت الحروب ، وبقيت عادات الأسر ،
وإجلاء سكن لبلاد خروقة من ديارهم ، إلى أمد أو يس غير أمد

فالأسير اليوم هو الرقيق الأول بعينه ، وبالصحة القانونية التي يحولها أموره
أنشاء أسره : يسخره الأسرون في أعمالهم ، ويجردونه من الحقوق المدنية
بينهم ، ويوطنونه من انكسوت ما يسلك الرمن أر يمينه على خدمتهم . ولا تلك
عنه هذه القيد إلا إذا نبذك الأمر بين المسكرين القتلى

فكل ما استحدث من نظام سرق بعد تحريم البيع والشراء ، فإنه هو
أثر من آثار التطور في قديم لدولة العبيد ، وبعد أن كان العالم القديم
يخصص ثلثة وثلثة « أو بدمر ح فيه مولد صانطون . صانطون .
لا تصدا الحرب بينهم فترة تسمح بالندم على تسادد الأسرى . ولا تقع
سببها هبة تنجح بالأسير أن يرجع إلى قومه هي تلحق بها حرب جديدة ،
بطل فيها فريق من الأسرى على فريق ..

للأذى تصير من نظام الأسرى في عصر الحديث إنما هو عند لدور في العلم ، وخطورتها إلى الثمان والتعاقد بينها فتوات أطول من حشرات الأوسى بين الدول الفنية الثابتة ، وما كان نظام الرق ليصبح ككيرا أو عيلا ، لوبيقت الدولة الوحيدة غالبية على العالم ، أو بقيت فيه الدوتن على عهداء لا هراة غيه

فلم يظهر الإسلام جاء بالعتق ولم يبق ، سرون ، وسبق لتطور دوى إلى تحرير ملك الأسرى عند أعداءه . وتغير إلى بتسريح الأسرى عده . وصبح خبر ما يصعب الفارغ في دن لوم ، فونه أصبح لدى سم تصب حصارة لقرن امشرين صاف هو أكرم منه وأجدى

فمن يحس في . يد كذا أن يصلح الأسير أو قفسه عدائه :
« فإذا لقيتم الذين كفروا فصرفوا الرقاب حتى إذا أثبتتموهم فشفوا
أق قبا ما بعد وإما عدا ، حتى تضع الحرب أوزارها »

سورة محمد :
وإذا أراد الأجير أن يعتد نفسه بأجره من عهد عمله ، حرس سانه
أر يقبل منه ذلك وأن معه ماله ، وما آتاه الله من كسبه :
« والذين يشترون الكتب مما عكت إيمانهم فكانوا هم إن علمهم منهم
حج وأتوهم من مال الله الذي آتاكم »

سورة البور : ٣٣
وفرض الإسلام لعت كفسارة لذنوب كثيرة ، فمن ظهر من زوجته -
أو مال لها حر ام عنه كظهير أمه - فلا يتصل من ظهره إلا بتحرير
رقبة يملكه :

« رابدين يظهرين من سائلهم لم يسودون بك قلوب متحرير رعية
من قتل أن يقاتلها »
سورة المائدة : ٢٤
« لا يؤخذك الله باللعو في إيمانكم ولكن يؤخذكم بما عاهدتم
الأنهار ، عكفرتة إصم شره مسكين من أوسط فاعلمون أهليكم أو كسوتهم
أر تحرير رقبه »

سورة المائدة : ٨٩

ومن قتل خطأ وجب عليه مع الدية تحرير رقبة :

« ومن قتل مؤمنا خطأ خطا فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى
أهله إلا أن يسدقوا ، فإن كان من قوم عدا لكم وهو مؤمن فتحرير
رقبة مؤمنة ، وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى
أهله وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين
توبة من الله » النساء : ٩٢

ويصن تحرير الرقاب في غير ما ورد انص عليه حيثما وجب الشكر
على النعمة والتوبة من القتب ، وحسن الجواب على الولاء .

وإنشاء المملوكات أقدم في التاريخ من الرجال المملوكين . فقد أوشك
أروج في كثير من القبائل البدائية أن يكون كله سبييا وعصاها من سده
القبائل الأخرى ، ولم تدع الحاجة قديما إلى استرقاق الرجال ، إلا بعد وجود
لأعمال التي يوكل إلى الأسرى ، وينتفع بهم المقاتلون الأحرار . . فكان
سوقوا الأسرى ثملا على مالك الرقيق ، سهاها أو يتخصم منه بقتله ،
وكانت المرة تقتل للمباشرة أو لخدمه البيت والمرعى ، وهي خدمة سبقت
ما يستخدم فيه الرجال من الصناعات ومطالبت المعاش . .

ومعنى قضية لإماء والسراري جزما من قضية الرق على عبوه ، ولولا
أن المرأة امتسدة مسرد مشكلاتها التي سمقت مشكلات الرق في المجتمعات
البديية لأن سعى انفساء أقدم من تسخير الرجال ل العبودية ، ولأن
مشكلات إماء على اتصال وثيق بمشكلة المرأة في سنها وفي بيئتها الاجتماعية ،
ولم تكن حقوق الزوجات الحرائر في القديم تلمس كثيرا معيب الإماء
للسعذاب

ومن رجوه لخلاف بين رق المرأة ورق الرجل أن العتق بركبير
بالإنسان الذي سلبت حريته ، وهافت على الناس كرامته ، ويمكن العتق
لا يؤول باجربة إلى حرية مبط عليها ، وهي بلا عائل ولا روج . وربما
قلها العتق من العبودية لسيد واحد إلى العبودية لكل سيد ثانوى إليه ،

ولم يكلل لها زوجها ولا عملاً تكرم من أصل العبيد المسلمين ، بغير حرية لها ولا اختيار .

وقد نظرت شريعة القرآن الكريم إلى انفسارق بين الرجل والمرأة في امر المتى ، عصمت حتى تعد النساء حركات من رابطة العونية إلى رابطة الزوجية ، وأمرت المسلم بتزويجهن والبر بهن

« وأنكحوا الأيامى منكم وأنكحوا من عبادكم وامكنكم » - سورة النور ٣٢
« فإن كنتم ألا تعدون لواحد أو ما عنك ايمنكم »

سورة النساء ٤

وتصنف زوج مالكية بخدمته على زوج سبعة البيوت من اشرافه
ويؤجر من هذا في العبيد

« ... ولأمة مؤمنة حرة من ذكركم » - سورة النور ٢٦١

ومرصة من حقوقيه كمرصة الحقوقيين الأرواح
« قد علم ما عرفت منهم في وحيه وما عرفت انفسهم »

سورة الاحزاب ٥٠

وحدة أم ولد من يملكهم مسوء في عدهم من روى أنه .
« هم الذين يمشون رادق رفقهم من ما مكنت انفسهم منه فيه
سواء » ..

سورة النحل ٧١

وحرمن الإسلام على الزوج في عودتهن وحساسيه . كما حرص على انفسهن في أرزاقهن ومعتنهن . فكان عليه السلام يقول
« عدي وأمتي » وإنما يقوله « بنائ وشائ » كما يحدث عن أمك ، وكانت وصيته بالمصلاة والزمن من « حر وحده صوت الله عنه قبل انتقاله إلى رفيق الأتلى

ولم يحسن ذلك المستضعفون من النساء والرجال على تلك المعاملة يوم لا يرون من الأديان قبل الإسلام ولا تنبيه عليهم أي حوا من عردهم

وعصيانهم ، ولم يكن أحد من أقوامهم يناصرون أو يتقبل منهم شكائهم . بل لم يكن من الأرقاء أنفسهم من يعتقد له حقاً في شكاه . ويصعب أن الرق مظلمة أساسية بغير حقه . وقد أُلهم بعض الأرقاء من السيد والامه فتم يريدوا عدداً في صدور الدعوة الإسلامية على أصنع الميدين ، ولم يكن لهم صوت مسموع في شريعة الجاهلية ، ولا في شريعة الاسلام ، إذ كانت شريعة الاسلام مما يتعصب المسلمون من النسي ، ولم تكن مما سطوته إياه . فمعه يأت به من آية مطعنة من آيات البر بالنساء المستضعفات اللاتي لا سند لهن ولا عائد يرحمهن ، مانما هي آية من الوحي لسطوي يجري على سق واحد من آيته كلفة ، في شريع الحقوق وسطيتم الفرائض والواحدات .

وارتد الاسلام بأنصاه إلى منبه من الانصاف برفيق والرفق به . لم تلعبها الانسانية بأدابها وقوانينها وديانتها وأصطفت بعد أكثر من ألف سنة ، ولكن اسميين مع هذا ، قصروا في عبود شتوي عن إنشاء الرقي الذي دعاهم دينهم إليه ، وأبيعت بينهم النجابة التي حرما الدين ، وسب بينهم الوصايا التي ذكرهم بها الكتاب والسنة ، واستحييت فيه حقوق الأحرار والعبيد على السواء . إلا أن الشريعة القرآنية المطهرة عصمت ببيعهم عبيداً ، وانه تذهب آثارها مدى في حفظها . ومن آثارها ما يثبت بالاحصاء والقفار ، كما تؤخذ من القساية بين عبيد الأرقاء ومن عائلتهم في بلاد الحماة الإسلامية ، وبلاد الحضارة الأوروبية والأمريكية : بغير حاجة إلى شرح طويل

فك من بنى من الأرقاء في العلاء الإسلامية بعد ثلاثة عشر قرناً لا يريدون على مليونين منهم أزواج وروحات دخلوا في الأسر المرة على سنة لمساواة ولما خاة . مما له دلالة في هذا الصدد أن ارتفاع الحياة عن عائلتك في اسم الإسلام مكنهم غير مرة من إقامة الدون ، « رضاء انصاف ، وولاية الوزراء والقراد ، ومعاملة لبيونات من أصعب تلك والأمراء ، ولو لم يدقم مسحة بوق لنسب بعم ذلك بشتة غير بيئة الامارة كما يكموا من الصعود في مازاء الاجتماع إلى هذه الأمة ، ولا فروعاً من مازب امولى والبيد ..

وتتخذ الملكية السيمية بين قسمة الرقيق في تلك الشريعة الإسلامية
وقسم في ظل الحضرة الغربية ، ففسر عن العنق لبعيد بينهم بالارتقاء
والعقائق والأوضاع

فتجاره الرقيق ملأ حصة حصة جمعت في القارتين الأمريكيتين له كبيرة ،
صنع سلالتها اليوم سنة ضر مديونا في الشمال والجنوب ، وأهدمت بينهم
جميع الحقوق حتى حق الحياة إلى زمن قرب ، فكان من المناظر المألوفة
شعق الزمعي بغير سؤال ولا معاملة على قارعة الطريق ، وكان ينص بهم
- محروك لقانون - خطوه متأخرة في القرن العشرين لم تقسح بهم في الزمن
لاحق إلا بعد اطفالة ولوشه ، وبعد الآلة ، وعلى أنطب مشمولاً
بالسعيد ، ومنه السعيد بالمراتب

وبن نكتب هذا الفصل بين 'ريب' محادثة 'سورية' نفسها ، برون
، اقمة يد في 'مريقية' جنوبية ، ذهب إلى محكة لأنه قبل تجنيا
، عذبه بالبيع المواصل حتى غر حطب ، فكان عذبه من الحكة عرامة
ماتت عشرة بولارات حطه على ستة شهور ، ولا حظ الغناء الأساني
في هذه قرأنة أن السيد الابهي يضمن بحق العرلة بين الأجناس Apartbeld
وهي الاشراف والوصية Baska فلم تر الصحيفة في رواية الصبر من حرج
في كتابه بعنوان « حق التذية » (١)

هذه شريعة وتلك شريعة ، بينهما من أن قرأنة أربعة عشر قوتا ، ومن
لجنود الإنسانية ثورات وأعمال وصحابة لا يحيط بها الإحصاء

الفصل الثاني عشر

المعاملة

عند الكلام على معاملة المرأة ، يتجه الذهن إلى أنواع متعددة من
المعاملة لا تنفي على أساس واحد ، ولا تأتي من مصدر واحد ، ولا يرم من
تحققها في بيئة أن يتحقق سائرهما في تلك البيئة ، ولا يستغرب في مختلف
البيئات أن يظهر نوع منها ، ويختفي النوع الآخر ، وأن يكون ظهور هذا
بمقدار اختفاء ذلك ، لأن بعضها من صنع السلطة الديبوية أو 'الديني' ،
وبعضها من صنع العوائق والعادات الفطرية ، وبعضها من صنع لرأسم
والشعائر التي تتدخل مع الأمم ولطقت ، وبعضها من الأخلاق والشمايل التي
تتلو أو تشهر على حساب المورث المجددة من أطوار التهذيب والتقصية ،
وأعواد السجالة والصمة ، فلا يسفر أن تصارع في كثير من الأزمنة ،
كما تتعارض الطوري من الشائس والأصداق

ومن ليسر أن تفسر هذه المعاملات كما تنفق أو تتفاضل في كل بيئة
شأت قب ، ولكنها تنقسم لسا تنقسمها إلى أنواع التي تشملها
في مجموعها ، وهي على التميم والتعليب ثلاثة أنواع - معاملة للقانون ،
ومعاملة انصب ، بمعاملة الأدب وما هو من قبل الشمايل العرفية

مصممة لقانون بخول المرأة حقوقها العامة وحقوقها الخاصة ، كما
نص عليها العقائد والدينامير ، ولندمها في دساتير الأمم المعاصرة حقوق
الميراث ، وحدثها حق لانتخاب نفسها في القرن العشرين

ومعاملة بسبب تكسبها المرتبة من صفة الذرية ، أي كان حكم لقانون
ل مركز المرأة وحقوقها ، فهي بهذه المتابعة أم أو أخت أو بنت أو زوجة
أو محرم يجب له الرعاية والمصاف ، وهذه تكون المرأة البريزة منذ إبل ،
أعزى اصطلاح عند عامة الناس من لا تربطهم بها أمرة القرابة ، ولا يحظون
بكرامة عنها وخصم ،

ومعاملة لأحد ، وما هو من صيب الشمايل العرفية ، قد يرعاها الناس ،

حيث لا يرحمها القانون ، ولا يرضها واجب السب ، وقد يؤذيها الإنسان كما تؤذي للرأسمالية ، لأنها معسوبة في حكم السادة من مساطير تكياسة وللوجاهة الاجتماعية ، ومما يملأها في معاملة لرجال بمشهم لبعض أن سائر الصاكن باحتلال أمد ، ويقتسم أمر ، يتوقع الضاد المظيع ، ومن تقاسمها في عصر الفروسية أن يفتن الفارس للعبة القوة ، ثم بمحرم شعورها ، لا يصب أنه ماء إيب ، ورية سمه حد ، ولرب مع سببها مكان حث سبلا من اشرف الخلائق لانه ، ورية حري مجرى الخلية الاجتماعية التي يروج فيها لربوب ويقع معها اصحاب تحييت والدماء بالمعروف والخوف ...



بأن أنكرهم شريعتهم محكمة في كل فرع من أنواع هذه المعاملات ، وله في كل مسألة دستوراً جامع الذي تقبمه تفصيلاته كما تقع الفرع الأصول ...

مذلة الحقوق دستوراً جامع أن ارجل والمرأة سواء في كل شيء ، وأن النسب بين ما لرجال ، وعين ما عليهم بالمعروف ، ثم يتنار ارجل بدرجة هي درجة انقواهم التي شئت لهم بتكوين الفطرة ومجاورة التاريخ ، وليس في هذا الاضطراب حرج هي سرعة استواء حتى تقوى استواء بين الحقوق والواجبات ، وكل زيادة في حق ، تقابلها زيادة مثلهما في الواجب ، فهي المساواة لمادته في اللب

ومعاملة النسب دستوراً في القرآن الكريم إجلال الأمهات ومجانة انهنات من نجسية على حينين ، والكرهية بولاده وتربيتهن . وإحلال الروحات محل لأرجل في السكن والمأوى ، فلا يعزل بمكان جوى حكمتهم ، ولا يسمون الرجاء أن متن حيث يأبى أن يقيم مع خويه من الرجال ...

وعلمه الأدب قطعها في القرآن الكريم كلمتين - المعروف والعنسي - فليس في هذا الكتاب أيمن نام في تسمى على معاملة المرأة في حال لرمي والغصب ، وفي حالي القرب والبلقاء ، وفي حالي الزواج والعنف ، لم يصحبها التوكيد مع التوكيد بوجوب المعروف والعنسي ، ويكره الأمارة والأيدي ...



والأساس الذي تنص عليه هذه المعاملات أهم في الدلالة على روح التشريع من الأحكام والنصوص ... هو أساس عواصم الاحترام بالنسبة لجنس حق وتقديره بيزان الواجب لمصلحة المرأة ، ومصلحة الأمة ، ومصلحة النوع ، غير منظور فيه إلى قوة الطلب أو قوة الاكراه على قبوله ، وغير ملحوظ فيه أنه فريج ندوة من دعوات السياسة ، أو ضرورة من ضرورات الإدارة ...

والإدارة العنصرية ، في ظرف من ظروف الحرج والإدارة ... وشعر المصلحة المركزية للمرأة هو دستور « المرأة الطالدة » في وظيفتها النورية ، ووظيفتها التي يصح عيب البيت والمجتمع ، ما استقدم نظم البيت ونظام الاجتماع

ويتضح معنى الأساس التي تنص عليها المعاملات والعقود عند المقابلة بين الأساس المركزية ، وأسس المصلحة التي تنصها المرأة من الضمانة الأوروبية عند حكمتها لدى المكرب ، وهي المثالية اليونانية في الصور القديمة وآداب الفروسية في الصور الوسطى ، وديتاتير الديمقراطية في القرن التاسع عشر وما بعده

فالثقافة اليونانية في أياها أردناها لم نعط المرأة شيئاً تعرفه من مقام الأمش في جنسها البدائية ، وتوكلها في عزلتها بامرل تتروى ليه بعيدة عن مكان ابروج الذي يستقل فيه أصنام ويولم فيه ولألمه ، وعزلتها في اجتماع من رب أولي ، كما عزلتها في بيتها كلما استسعى عنها زوجها ، وربما عزلتها عن تدبير المنزل كلما راحتها عن ضرورات الخدمة ليه كأنها حسبت أن الانقطاع عن تدبير الحياة البيتية سلامة من علامات الهرم والمضرة ...

هذا مكانها في الواقع ...

نأما مكانها الذي خاتمتها لها الفلسفة الثانية فهو مكان لهذا المكان

في الكلمة الأخرى من الميزان

دائماً الأعلى الذي رخصها به حيال أفلاطون في مذهبها الفاضلة ، أن تعتبرها الأمة ملكاً مشاعاً تنجب النسل من بختارها من الرجال ، وتتسعه صبا إليه تتفرغ عن تربيته ، بأهل الأمي للساة في أديسه المصلحة التي حاضرة مصلحة من الإناث ، تؤدى وظيفه الولادة ، كما تؤديها إندك الحيوان ،

وتسكنر عليها المراتب الشخصية التي تجعلها أما أفضل من أمهات ، أو روجه أفضل من روجات ، وتكفل إليها أمدته الرسمية والاعداد للقيام العامة بعد سن الرضاع والعناية ١

فلا امرأة هناك في هذه المدينة الفاضلة ، بل هناك تطيح من إناث الإنسان تجري الفاضلة من امرئده كما تجري بين إناث الاهتمام فيما نلت إليها أعين الذكور . وهذه هي البيئة الخالية التي تفرق فيها « المرأة » كما انروت في حجابها المريم ، فهي كفة مبراز في عالم الواقع ، تتبادل كفته الأخرى في عالم الخيال

وتد تقدم أن أوسط كل ريتي على سجرة - في كليب للسياسة - انها أحب امرأة ما لا ينبغي لها من حق الحيات ورخصة الحرية ، فانتبت بها مسئلتها انسانية إلى الموت

و مسود من قمر . القصص عن عصر الفروسية له عصر المرأة الذهبى . أر أنه عصر الفارس صاحب النخوة ومواء من عقول الفصور والحموى . ولكنها سرور من صور الأعلام تنتهي - مع الملاحظة فيها - إلى سمرية مضحكة ، كذلك البقرية التي ابداع فيها - لكافة الأسبقى مرهنتين ، بها هناك لنا من حبلاء بطله هون كيشوت

وحقيقة ذلك العصر كما وصفه صاحب كتاب « التاريخ الموجز للنساء » (١) إنه كان عصر انحصان لا عصر المرأة ، ومنه ما كتبتناه في كتابنا « بحيرة محمد » هي حالة المرأة فيه وفي المسور التي تكتف حية بقول : « إن عصر الفروسية كان معروفا بها بوظيفة من فقدان لسبب - على لحمة - الاهتمام بالقبض الآخر . وطلعا نفس من فدهنه لدث ، لو انت وعسا كلمة الفروسية ، وذكرنا انها لم تكن ذات ثلثي بالقيادات كمت كت ذات شأن بالحيلة ، على خلاف ما يروى للكثيرين أن يذكروه . ولعلنا نبلغ الاهتمام بالمرأة بلع الاهتمام بالحصان في عصر الفروسية ، إلا على اعتبار انها عنوان شبيهة - ديتي لغاري - حادثة من كتب « أناس الآداب والتحيات Chateaux de Geste يروى فيها أن بنة أوسج Auceia

جلس في مدينتها ذات يوم فمهر بهت عتيق - هب جاران وجيربرت -

وقال أحدهما أنظر . أنظر . يا جيربرت : وحق المراء ما أجملها من فتاة ، فم يؤد صحنه على أن قال : « لهذا الحواد من مطلق حيلة » دون أن يلتفت بوجهه . وبعد صاحبه يتكول مرة أخرى : « أجمتى رليت كما نقا : بهذه الملامة » ما أجمل حلاتن العبدن السودلون . « وانطلقا وجيربرت يتكول . إر جوادا قط ، لا يمثل هذا الجواد » « وهي حادثة صمير ، ولكنهما وضحة الدالة ، إذ قلة الاهتمام تورث الإزدواء . والحق أن عصر الفروسية يرتب نفس الفراعند الوضحة على هذا الإزدواء ، وليليك مثلا حادثة في الكليب المقدم ، يروى فيها « إن للسكة بالانشطور ذهبت إلى فرمها أنك بيين دهمسالة موصنة أهل المارين . فامتنى إليها ذلك . ثم استشاط غضبا ، ولطمها على أنفها بجمع يده ، استطعت منه أربع قطرات من الدم ، وصحبت تكول . « شكر ، لك » إن أرمالك هذا فاعطى من موك لحمة أخرى من نساء » « وم تكن هذه حادثة مبردة لأن الكلمات من هذا النمط كسى ما تشكر ، كأنها صيغة مصفوظة وكأنها كانت اللطمة بنفسه اليد جزء كل امرأة جبرت في عهد الفروسية على أن تواجه زوجها معسورة « وهي كلنت المرأة ترف إلى زوجها طر السعة ، وكثيرا ما ترف إلى رجل لم تره قبل ذاك ، إما لتسهيل المعالمة الحموية والحد المستوى ، أو لتسهيل ملته من صفقات الفصاع ، ومضى كائن بعد دلفها إلى فارس عجنون بالصعب ، سطل أنفكاه ، قد يكون في معظم الأحوال من الأميين ، عروسة القرب كلها ولجسته بمقالبة - أخرى سيئة لتصر إلى راجدة لها رخصة أو ملأ من حياة الشقاء ، أو من حصة قرين ليس بها بأهل ٢



ولقد تقدم الزمن في الغرب من المسود المظلمة ، إلى عصر الفروسية ، إلى ما بعدها من طلائع العهد الحديث ، ولما تجرح امرأة في معركة صلبة لا تفضل ما كانت عليه في العاهلية العربية ، وقد تفضلها امرأة المرأة في تلك العاهلية

« في سنة ١٧٩٠ بيت امرأة في اسبواي إنجلترا مشفق لأنها ظلت بتكاليف حيثما على الكيسة التي كانت ترويه . وبقيت المرأة إلى سنة ١٨٨٢ مبرومة من حقها التكلم في ملك القدر وحرية الفقه » « وكن

تعلم المرأة سيرة تسموئيل منها النساء هذه الرجال ، ولما كانت التعليلات بلا كويل تتعلم في جامعة جنيف سنة ١٨٤٩ - وهي أول طيبة في العالم - كانت النسوة الخيمات معها فاعلموا ، ويأين أن يكلمها بويروين ديولان من طريقها احتقاراً لها ، كاذمين محترات من تجاسة يتكلمن ماسها . ولما اجتهد بعضهم في إقامة معهد يعلم النساء الطب بعقيدة فلاذلفيا الأمريكية ، أعلنت الجماعة الطبية بالمدينته أنها تصادر كل طبيب يقبل التعليم بذلك المعهد وتسامر كل من يستشير أولئك الأطباء . . .

وظلت آداب الفروسية سارية عند عصر الفارس النبيل إلى عصر السفطن في أوربا الحديثة ، تحضى في سادة المرأة بين طيبة القوم بإراسم والمجاملات التي لا تتصور أشكال انتمية إلى القصة والتعقير - لغيلام « للجنتمان » على التمسير في عهد الانهزامات وحركات المساواة وكلمات التحريف ، ولا يفهم أحد من ذلك أنه يعظمها ويوليها ثقتهم وتقديره ، ويفعلها ثمر العنق التي لا يمن بها على القدم والأنبعاغ وهو يتخرج من إثارة مسته بوانه بها البيدة في محفل السادة ولا يتخرج من القول المسى إلى خدمه وأتباعه ، ولكنه لا محفل ذلك متياسا للفرق بين المرأة وبينهم في الحقوق والآليات ولا عنوانا للعلم الإنساني في تحجير.

لآداب الفروسية ، وحيلتها الختالية ، لم تكن على نهجها أيام ردها ، إلا مظهر من مظاهر البست ، طائفة من كل دلالة على القيم الإنسانية ، مثلها - كما أسلفنا - مثل الترفيع معينة « الخدمة الطبخ » في قبل يطلب يحتفل به الحاكم سيده المذاع

ولو كانت تلك التعميمات مقسورة بمنها ، مصورة عن القيم الإنسانية في قنصر أحاديها لما استكثر القوم أن تنال المرأة كل حقوق الانتخاب ، وكل حقوق التمثلة نفعة واحدة ، ولا احتاج الاعتراف لها بحق منها بعد حق إلى انتظار حركات الناس ، وهو الاله الطلب من أواخر القرن التاسع عشر

إلى ما بعد انقضاء الحرب العالمية الأولى ، في أسبق العدان إلى إحالة المطالب النسوية وإعداد المرأة لها بالتعليم ومباشرة الأعمال .



ونسير الدساتير الديمقراطية أخيراً المراحل التي شرعت للمرأة معاص حديثاً دائمة على المادى الفكرية ، ولكنها قامت في الواقع على إجراءات الضرورة ، ولم تكن على تدبير عادل للكائن الحي في قيمته الإنسانية ، ووليتت النوعية التي خبت عليها مساطة القرآن الكريم ، فمس عصر الديمقراطية وبطل مطالبه النساء والرجال هما بحقوق الانتخاب أو حقوق لبيته . .

لأقناع القوى الذي يمكن به المرأة من استجابة مطالبها في الدساتير الحديثة إنما هو إصباح النسبة إليها في المصالح والمعاملات عند نشوب الحرب الحديثة ، وانصرف المصلين من الرجال إلى ميادين القتال ، وبمثل هذا لأقناع تمكن انمال الرجال ، وتمكن نساء الأجسام الضرورة ، من تحقيق مطالبهم عند إنكارها قارة واستمروا لبيته تارة أخرى . .

وهذا وأشهد بعض ما عيناه باختلاف القواعد والمبادئ التي تصدر عنها الشريعة القرآنية وتصدر عنها سائر الشرائع في مدته المرأة . تلك شريعة الحق للعق ، وشريعة الحق بقدر مصلحة المرأة ، ومصلحة الأمة ، ومصلحة الإنسانية ، وهذه شرائع الضرورات والإجراءات التي تزن لأمر بغيرها الختلب الجراف .

وقد مضت حقوق الإجراءات هذه شوطاً آخر بعد شوط الدساتير الديمقراطية ، وهو انشوط الذي ذهب إليه أتباع المادية الاقتصادية . ودعاة العلم المنظمة على كل نظام اجتماعي وأول نظام الأمر والبيت . عزلاء الماديين الاقتصاديين يجهون على ديدهم في توزيع الحقوق ، مقدار ما فيها من لاستقارة والأغراء بالموضي والصمان ، وحقوقهم من يعقونها على المرأة لا تشرف ولا تستحق منها العيلة والرمضان إن نظرت إلى معناها ، فلم لم يهوا بها المرأة الا بعد ١٩٢٩ . .

الزوايا وميوسطنهم بالقيم الإنسانية إلى حميص لا يرتفع فيه قيمة ، ولا يطفو فيه رأس على رأس ، ولا يفتن بشيء غير المأواة بين أطمئ إنساني وأتفه مظلوق من صفات العقول والأخلاق ، قبلارة في دعوتهم سواء ، لأي كل شيء سواء ، ولأن لا يوجد في الخلق غير هذا سواء .

مصاصاتهم قدئمة على التجريد عن المريا ، لا على الاعراض وانقسام
بناريد بحرومه ، وتوابعها اسبب والهدم ، ولا سنوات لها على الاعطاء
ولياء ..

وجسرو هذه الطبقة المادية لأقتصادية ، بُن الأحياء جميعا سواء
في الصفات ، ولأن الفوارق إنما تعرض بهم من البيئة والعروق ، وعندهم
أن البيئة والعروق في العالم الإسماعي هم شعبان مرادفتان لعوامل الإنتاج .
ول هذا من نتيجة انماوية سر لا يقبل سدا نافعا لأنها لا تهول ،
ولا تسوء ، هي جميع العوامل الطاهرة وانحطه التي تؤدي إلى تعدد
العروق بين الأحياء .

هذه الثغرات محسوبة مدرجة في كل مكان وفي كل شيء ، ول الأرض ،
حيث يعيش الإنسان ويعيش معه - من الأحياء - أو في البنية ، تجرول
الأجسام السماوية في كل حال .

ينتظر إلى السموات الفساح ، فلا يرى فيها حمى اثنين يتشابهان
في الحجم ، واسرع ، وقوة الأمام . رأسه أجور . وغصب الحادية ،
وقدم القشة والدوران

وعلى الشجرة أبواحدة التى تسمى ماء ، واحد ، وتسمى السور من
جود واحد ، تنظر إلى سرح من سروح اثنين لكثرة ملائزى عليه
ورقته تفتح فتشبهان فى صفة اللون ، أو فى رسم النخل ، أو فى خطوط
النقش ، أو فى عدد الزوايا فيه له خفايا ، أو فى صفة واحدة من الصفات
التي تدرك بالحواس ، فعلا عن الصفات التي لا تدرك بغير أجهزة رصود
الحصيل .

مما يكن من معنى أئمة وانظروا عند الأدعي لأحمد بن محمد
شيء لا يحصر ، ولا يمنع غوارق بين الأئمة ، وكلهم هم هذه الفوارق

فهو مثل كل صميم التكوين ، يتغلغل إلى أعماق الأيمان في ورقه الشجرة ،
وطلة الحطب ، ودع فمي الإنسان وعقل الإنسان

ولكن القول بمع هذه الفروق لازم للدعوة التي تقدم كل فئة ،
وتسوى القيم بالجميع ، وعندك تتم امرأة عديم بأساوة ، لأنه ما من
شيء في الدنيا أظ من هذه المساواة ، لأن المساواة تعطي في مكان ترتفع إليه
وكلها دعوات عند أصحابها لا حقيقة لها إلا أنها ذريعة من ذرائع
التحريض وتسييج ، تعطي الضحوي بهب من الرمي بمقدار ما تعرفهم
إلى السخط والتمعة ، وك سبيلهم بهمهم - فيها أنهم من القيم الإنسانية -
أشرف ممكن تلوذ به المرأة البائسة ، وهو مكانها في الأسرة ، وحفظ الأسرة
عند أعداء الزنا الانساب أتعب نظام يظلم ميراث الزنا ، كاد التصرف
والمقيدة كما سفل ميراث الأراق - ولا بد أن تكون معية ما معه حق
هذه امرأة التي تقصر بها آهالها الأشرية ذرية التطلع إلى مصلحة ربة الدار وأم
البيت ، فلا يرهها في نظر نفسها إلا أن تكون واحدة من قطيع الأفاع !

وتتلقى مبادئ المماثلة التي تدبر المرأة من الحضارة الغربية ، منذ عهد النهضة الأوروبية إلى عهد الديمقراطيه ، وليس هناك كبير تعامل بين لاهل الشارع في حريم لثبث وجسمانية آيلاهن ، ومن مساواة بالديه للاقتصاديه ، التي ليس دونهما شيء ، لأنها تتوزن بالمساواة من لقيمة إلى الحضارة .

ولما : فذكر في هذه المعاملات أنها ترجع في اعتبارها بمنفعة
عن مقدم المرأة على صاحب حقبتها الطولية بمزول عن محالها المتتم
وجرامات المعك ، ومسورات له باله .

وتتبنى جميع نتائج هذه الأبحاث، الموقرة، لولاية ويمددها
بجامعة دائمة في الجامعة المستنيرة على أساس العطفة ومصلحة شروع
كله، وهي التعطلة ينضمي والمصروف على شبكة المساواة من حقوق
والراحت ١٠

الفصل الثالث عشر

مشكلات البيت

الأسرة وحدة اجتماعية تحتاج كثيرها من الوحدات إلى نظامها الخاص الذي تعمل عليه في جميع شملها ، وإصلاح شملها ، وحل مشاكلها واختلافات التي تمر من لأعضائها

ولكنه الحرج من سائر الوحدات إلى الدقة والحكمة في نظامها الخاص بها ، لأن نظام سائرها دون غيرها ، ولا يتكرر على مثالها في وحدة من وحدات المجتمع ، أو فئة من فئاته

والشركة التجارية - مثلاً - وحدة اجتماعية ، لها نظامها الخاص بها ، وتعد تكوينها واختتمها المختلفة على حسب تأليفها ، ولا بد لها ولبناتها جميعاً من روح المودة ، وصديق المودة ، لنص الانتماء وتمتصق المصدا المتبدله ..

إلا أنها قد تعمل في أهم أعضائها على أرقام الحساب ، وشروط الاندفاع لتسير تلك الأعمال وتيسيرها

أما الأسرة فلا ينبغي أن تعمل في علاقاتها على الشروط التي يفرض فيها وازع النساء ، أو وازع الشرطة ، ولا مسالك لها إن لم تتماهى بينها بنظام منتهى عن تحكيم القانون - أو تحكيم الشرطة ، في كسب خلاف بطراً على علاقاتها ..

ملين الملوك والوفاق في الأسرة يدوران على دفتل النفوس ، ولسبات النسمور ، ورحات البشاشة والعيوس ، وبعد سدا الصلاف وينتهي في لحظة ، وبعد يساً في كل ساعة يتبدل بهيب الروح السلام والنعاء ، برامس ريريه والاستقبال بين الأهل والمحاب . ولا يوجد بين الناس نظام عام ملحاً إليه لخطفون حتى أمثل هذه الأمور ، كلم طرات في لحظة من لحظاتها ، ومى مم بطراً في جميع الأوقات

كذلك لا تترك هذه العلاقات بغير ضبط يتداركها ، ويتبع انهاء
الأسرة عند احتياجهم إلى الانتفاع به في حياء
ملائم لهذه الوحدة من تلبية ، وأول المختنيات انسامة في نظام كل
وحدة أن يكون لها رئيس المسئول عنها هو الزوج : عائل البيت وأبو الأبناء ،
ومالك زمام الأمر والنهي فيه
إذا جاء الطل من هذا الرئيس ، فتحت هذا انظار كفتحة كل ظل
يصيب الوحدة من رئيسها يزول الرئيس ، وتزول الوحدة ، وبكى لا يروى
للنظام ، ولا يروى الحاجة إليه . فان نظم الحوة لا يروى لخل رؤسائها ،
ونظام الحكم لا يروى لحل قضائها ، ونظام الشركات لا يزول لمر محير
لها ، أو حيلته واختلافه

نظام لأسرة باق ، وخصه إلى الولي الذي يتولاه باقية ، وينبغي
هم في ولاته هذا الرئيس بخصامه إذن بحسب لثريته العامة ،
عندما يصدر هذا الصاب

ولا جسد حول نظام الأسرة في حق الرب على لثرائه المعاصر إذ
حالفوه ، واستوجبوا عقله ، فليس يتدح في هذا الحق من وجهته
تعامه أن الآباء المبالغ فيلون ، وأنه ليس كل حراء يوقمه الأب بأبنائه
عدلاً وصلياً . وإنما ما حدث على خلاف أن إلهاء أخطر من الحس
في تنفيذ ، وأنه لا يوجد في احكام آباء متالبون ولا أبه حذرون

وهذا هو بعينه مناط الحق في أمر الزوج والروجة حوا نظام لأسرة .
فليس في نظام زوج مثالي ولا روجة مثالية ، وليس تصرف الزوج بحسب
في كل حال . ولا امتراض تزوجه عليه بحوا في كل حال . وبكى نمراب
في كل حال أن يكون بلوعدة الاحتجاجية نظام ، وأن يكون لسلهم رئيس يتولاه .
وبنها لحظة واحدة من ثلاث أن يكون كل خلاف بين الزوجين مسا
لاطلاق حراء من بيت ، أو أن محصر الذمى أو شربة كل خلاف ويخلصو
فهمه ناجر . أو أن يبعد إلى عائل البيت بدارك لخلاف بوسنة بين

احضان انيت ، وهو المسئول عما يجنيه وعما يؤدي إليه ، إذا بلغ الكتاب
لحله وتعدد الهناء
وأولم بخطط الثالث ، وأكرمها إلى الموصول والواقع ، هي خطة
للقرآن الكريم .
وجمعها كلها هاتين الآيتين من سورة النساء :

وَالثَّلَاثِي تَخْلِفُونَ مَشُورَةً مَعْظُومَةٍ وَهَجْرَةٍ فِي الْقَضَائِمِ
وَأَصْرِيحِينَ فِي أَلْفَتِكُمْ مَلَاتِمُو عَلَيْنَ سَيْلًا . إِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْنَا كُفْرًا .
وَأِنْ حَتَمَ شِقَاقُ بَيْنِهِمَا فَلْيَقْتُلُوا حَكْمًا مِنْ أَمَلٍ وَحَكْمًا مِنْ أَمَلٍ إِنْ يَرِيدَا
بِصَلَاتِهِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . إِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْنَا خَيْرًا .
الآية ٢٤ ، ٢٥ .

في سمية الحصة أول ما يحرم من الرجل خلافه مع زوجته ، بين
لم تفجح ، فانظمة في المنزل دور لا يطاق معه . بين لم ينجح في مقربة
لندنية بغير إيداء ، فلي سلف الشقاق بالتحكم بين الزوجين من الطرفين
ومن انتمس للروجة في جميع هذه الحالات . بين لم ينجح مع
لنسور من زوجها إذا خست إعراسه . بين لم أفه خلفه من معناه شو
وإعراسه فلا جناح عليه أن يسلم بينهما صلحاً ، والصلح خير .
والنساء ١٢٨ .

وبسبب الصلح كسبل الصلح الذي يباح إليه الزوج ، وهو التحكيم .
وخصي بعض المفسرين بحسب أن عقوبة مطلقية والهجر في المصالح ،
تزوج المرأة ما يباح من لاثام الحس ، وموات المتعة لصدة . إذ كانت
حكمة القرآن الكريم المانع من ذلك . واقع في هذه احكامه الزوجية ، وإنما
تزدح هذه لعقوبة المرأة لأنها تذكرها بفسده التي موجهة للرجل الطاعة
في أعمال زوجاتها . وهي مقدرة الحزم والارادة والمصلحة على الدوافع
الغيبية . وبهذه المقدرة يستحق الرجل من المرأة أن يطاق ، فلا تشمر
بالعصاة من قسمها له بهذه الطاعة

قال الأسد رشيد رضا رحمه الله في كتابه «مداه للجنس العليل»
«أما البحر فهو من صروب اتأديب إلى صب زوجها ، ويشق عليها
محره إياها ، ولا يتحقق عدل بهجر المصعب نفسه ، وهو المراض ، ولا بهجر

المحجرة التي يكون فيها الاستطجاع ، وإنما يحقق بهجر في العرائش نفسه ،
وتصعد حجر العرائش أو الحجرة ريدة في العقوبة لم يألن بها الله تعالى .
وربما يكون سببا لزيادة العقوبة ، وفي الهجر في المجمع نفسه متى لا يحقق
بهجر المجمع والبيت الذي هو فيه ، لأن الاحتجاج في المجمع هو الذي يهيج
شمور الروحية ، فتسكن نفس كل من الزوجين إلى الآخر ، ويؤزل اضطرابها
الذي أثارته الحوادث حين ذلك . وإذا عجز المرأة وأعرض عنها في هذه الحالة
رجا أن يدموها ذلك الشهور السكنى الذي هو سؤاله من السب ، ويهبط
بها من بشر المخالفة إلى صنف لمرقة . .

والذي نراه - وذكرناه في كتاب من عقبيه محمد - أن الأستاذ
رحمه الله قد أخطأ أورد الدقيق في هذه العقوبة النسبية ، وأن الحكمة
في إيقاعها أعين جدا من ضاعر الأمر كما رآه الأستاذ . فإلغ العقوبات
ولا ريب هي لطوبة التي تمنى الإنسان في غيره ، وتشككه في صميم كيانه ؛
في حرية التي يمتز بها ويحبها منه وجوده ، وتكريته . والمرأة تعلم أنها
محصنة إلى جانب الرجل ، وبكعب لا تأتى حثك ما علمت أنها فائقة له ،
ونفسه عيشه يفتشها ، وبادرة من تحويس ضمها ، وما يملكه نفسه من
شوق إلىها ورغبة فيها ، فالبكى ما شاء من قوة فيها ما شاء من سحر
وبقة ، وعزلوها الأكبر عن ضعفها أن تقترب لا تقاوم ، وضمها أنها
لا تقاوم مديلا من القوة والصلابة في الأحسد وأطول . فإذا خربت الرجل
مما جمعه له ، وهي في أشد حالاتها إغراء بالفتنة ثم لم يباها ، ولم يؤخذ
بمحرها ، فما الذي يقع في ودها ، وهي تهجس بما تهجس به في محرها ؟
أفوت سرور ؟ أخص إلى السؤال والمعضلة ؟ كلا . بل يقع في ودها أن تشك
في صميم أثرها ، وأن ترى الرجل له أضر حالاته جديرا بميبتها ووداعته ،
وأن تشعر بالضعف ثم لا تنمى بالفتنة ولا بتقية الرعية . فهو عاقل أمره
إلى جنبها ، وهي إلى جانبه لا تنك نكاحا إلا أن تنكوب إلى التمسيم ، وتفسر
من حران حرها في ظرها قبل فرارها من حران حرها في نظر مشاجها ،
في هذا تأديب نفس وليس بتأديب جد . بل هذا هو الصراع الذي تتجرد
فيه الأنثى من كل سلاح . بأنها جريت أقصى سلاح في يديها ، فارتدت

بعد ، إلى أزيمة التي لا تكارر نفسها ليها . . فإما تكارر ضحها حين تلوذ
بمنتهها ، فلذا لاقت بها الخذلانها ، لأن يقرر لها ما تلوذ به بعد ذلك .
فحسبها حكمه العقوبة البالغة التي لا تقدر بفوات شدة ، ولا يعتد بوحدة ،
حدث والمعضلة . . إنما العقوبة إبطال الحضانة ، ولن يظل المصير بشي .
كما يميل بأحسن المعاملات غاية صفة ، وغاية قوة من يحميه ، والهجور
المصجع هو بخسبة الرجوع إلى هذا المعنى . .

ولا عتراض لأحد من التكمين أو المتأخرين على عقوبة من هذه
عقوبات جميعا ، وهذا خلا العقوبة البدنية ، وهو - فيما يبدو لأيسر
سيرة - اعترض متجه في غير فهم وهي غير جدوى ، وبس هذا الاعتراض
ساعات إلا هل وجه واحد . . وهو أن المعالم لا تحل فيه امرأة تنظم
تأديب جدم ، أو يملحها هذا التأديب . وإنه لشخص يجوز أن يتحدق به
من شاء من صلب نفسه ، إظهارا لدعوى النخوة والفروسة في غير موضعها .
وليس يستلزم أن يتحدق به على صلب الشريعة أو الطيبة ، ولا على صلب
شأن الأسرة ، وكيسان الحياة لأجتماعيه . .



إن نقام مقدم عقوبة بل مقام العقوبة بعد بطلان النسيئة وبطلان
خطيئة . ولم يحل المعالم الأسطى وجلا ولسه من يماقبون بها يعاقب
به المذنبون ، مما دام في هذا المعالم امرأة من ألف امرأة تملحها لعقوبة
بدنية ، فشرعية التي يفوتهم أن تذكرها فاعلم ، ونشريعة التي تؤثر
فيها هذه الأسره مختصرة صارة ، والمط بهذه واحدة فملاق رحيم .
فحسب الصحة المعطلة ملخبت أنماها . وقد أجازت اشترائع عقوبة الإبدان
حصود ، رلها مدوخة صها مقلع الوظيفة ، وتأخير الترقية والحرمان
من الأجرز والحريات ، فإذا امتنع العقوب بغيره لبشر النساء ، فلا فائدة
من السب جميعا في إباحها ، وما يقول عقوب إن عقوبة الجسد نفس من
الأيراء ، وإلا لوصل يلقط جميع العقوبات من جميع القوانين . .

وسرى فيما يري من بيان القيود التي أحيكت به هذه العقوبة أنها
في حكم لا سلام جد كريمة ، وما أباحت إلا لانتها ما هو آخره صها ،
وهو أصلي . .

الفصل الرابع عشر

القرآن والزمن

بقي القرآن الكريم في العالم الإسلامي نحر ألف وأربعمائة سنة قوة غاشية يصمم بها في بحسبته وإدبته ، وفي عزته وإمكناؤه ، فلا تكن هو القوة العاملة التي تقضيه حتى غارتته جميع القوى التي تقتلح بها الأمم ، فكان له قوة تميمه على استمداد والمضاء كما كان له قوة تميمه على التثبيت والنفوس ، وسعى الحسبون إلى فهمه لمعظم سطوره فطمعن فيه ، وعدلوه نقاديين عليه ، فلا يعرف دولة من الدول الطاغية المعطية لم يطبع هذا من بدائل الحسب ، أو تدخته بالصحة والمكدة ، ولا تعرف لهذه البلاد المطومة قوة تعود بها ، وتلقى عليها أن تسلط بالزيمه ، وتضم في جوف ادور الحية ما ، غير يسميها بهذا الكتاب : إن الايمان بقرآن راقون احصوا مع رب العالمين ، فيهيان لا يجتمعان في قلب إنسان .

ونحن اليوم ننظر إلى الدول العالمية ، فلا ترى لأبناث حيرة أشد من حيرتهم في البحث عن الايمان بوجه والعقيدة الراجية : كهم يريدون أن يستلوا على أمل في الحياة ، وعلى فكرة وثقة بلمس المصحح ، والرجاء الموفق ، والسعي لمطمئن إلى هداه ، وإلى المصير وبين كان لا يراه .

وعندئذ نحن هذا الايمان بوجه وهذه العقيدة الراجية : بلونا الايمان من خلال ، ولحيده بحية من جد من الزمن ، مشيرة - نحن - لشدته ، مناهة لكل امس ، تفر في يوم من الأيام غدا مجهولا ، ثم لن يسط عنه حجب الميب ، صالحة لكل عد مستقبله ونجهله اليوم ، ولكننا لا نجهل أن الايمان بوجه يوم وأن حيلنا يمتلأ تلك القوة ، وألنا على سنة القصد - على الألف - حين نعيد مما في أيدينا ولا يقبده جراد لبحث عن سواء ، وقد هرب سريفا سواء حيث فطرته فاته العقيدة إلى التجربة لمجهونه ، هذا هو في بلوت المقصدة من غير اعتقاد ، وإذا هو مشد الرجال يبحث من الراد - ولا يراه غير را -

لقد كان هذا الدين حنفاً عالياً ، فما لنا لا نتمسكه في يومنا
ومعنا ولا نشطه ولا شقة ؟ وماذا ينكر اليوم أو الصدفة ، وهو يسير
معنا حتى نبارك .. وبهذه بن قوة وسجدة من عثار ؟
إنه حين ربه السالم .

إنه دين إنسان السالمين ! حين الإنسان الذي يستقبل ربه حيث يكون ،
وحيث يكون ، مأين ولئى ثم وجه الله ، ومنى وثى ثم وجه الله ، وثم
رب العالمين ، وبكل رضى وكل سماء وكل مبرك وكل حين

إن « يسر المصالح » يعيش لليوم كما عاش بالأمس ، بل يعيش في يومه
لما صار أكثر مما عاش في أمسه ، الدابر ، لأن زامس قد كن أسس مد
العالم ، وذلك العالم حيث لا ينتهى علم وعلم ، وأم « عيون » عانها
من صنع المصالح الذى لا ينقص عليه مد

وبعد آس حين القرآن بالأساس نص في كل زمن ، وأحد حقه حقوب
نص الحياه ، غير موقوف على دساح سخط وأمس ، ولا على أصوات
الانتصاف ، ودوات القواب . إنسان مثوب بملك حقه ووجه شعاعه واحدة
هى شدة الحياه ، ثم يسبق ديبه قيوده ويحرر من معه ، بل سبقه ديبه
عبود هو الا وسبقه بعد التزم أطول مما سبقه من عبود
ولا نصير على الدين أن شئت واستقر
بى على الدين المصالح أن يسر واستقر

وإن نصير أن يفهمه زس ولا يفهمه زس . وأن يكون به حذر يبه
وبنى سمير الإنسان في زمن من الأزمان . وتره دس القرآن عن هذه الجمود .
فله على العاية مما يملك لدين ينظم حلال من المعارف والصالحين مثبات
لشئ ، ويخصص بينهم إلى سمير المؤمر بالله في كل عمر . وليس علة من
حديث غير هداية المصير

وقد لمة حث الدابة هل نفهم آتت الكتاب على مدى ألف وثلاثمائة سنة
بوانى عيون المفسرون ليفهموا آيات الحسب والمقاصد من " وحيل " ومن من
أساليبهم - ففعلنا وصلى - عده معبرو عن دس شعورا دمعها ، وألم يهدهم

كناهم أن يقيموا ، ولا هر بمنع أعبدا يتلوهم أن يقيم جهده من التعير ،
كيفه كان تبع الفهم والشعور في هذه الأمور
وعلى هذا المثال يحتفظ بالقرآن ، ويحفظ بالرس ، ونحو مئات السنين
في سح حداث ولا يزال في الأمد متسع لأخرى من مئات السنين .
ويختار لنقطة بين التفسير آخر الآيات التى استشهدنا بها لشراسة
القرآن في معاملة المرأة ، وفى آيات النشور في سورة النساء ، بنوفا بابن عباس
ونتمسك بالثمة من أبناء القرن الثالث عشر ، ومن يخالفهم من أئمة بدرهم
من المفسرين إلى هذه الأيام

د ... المصالح قد تبت حافطات للمصالح بما حفظ الله وأبلى
تصون تشوهم فطوهم " وأهروهم في المصالح واضربهم ، فإن أظفكم
فلا تموا على سبيلا . إن الله كان عليا كبير ، وإن عظم شقاى بينهما
من حكو حك من أهله وحكم من أهلها إن يريد إصلاحا يوفق الله بينهما
إن الله كان عيما خبير ٥٥ النساء ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ،
قال ابن عباس (١)

د (فمروهم) بالعصم والقرآن (هجروهم في المصالح) حولوا هم
وجوهكم في أدرانهم (وهرموهم) هرب عن مخرج ولا شائق (أين أظفكم)
في المصالح (ملا تيموا) فلا تظفوا (عليهم سبيلا) في الصب (إن الله كان
عيا) أعز من كل شيء (خبير) أكبر من كل شيء ، يكلفكم ذلك فلا تكلموا
من النساء ٥٥ لا صفة بهم من المصالح

وجهه في تفسير الطبري (٢) المتوفى سنة ٣٢٠ هـ :

« وأهروهم » في المصالح « حدثنا المنى بعد إنك » قال :

لا يهجره إلا في البيت في الضحك ، ليس له أن يهجر في كلام ولا تنه
إلا في الفرض ٥٥ فلا يكلفها أن تصبه ، فإن قلنا أس في يديها ، ولا معنى

(١) تلويح المصالح من تفسير ابن عباس لأبن صاهر محمد بن يعقوب
لغوري يادى

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن تأليف أبي جعفر محمد بن جرير
الطبري

العجر في كلام العرب ، إلا على أنه ثلاثة أوجه ، أحدها هجر الرجل كلام الرجل وحديثه ، وذلك رفقه وتركه ، يقال منه : هجر فلان أهله يهجرها هجراً وهجراناً . والآخر الأكل من الكلام بترديد ، كهيئة كلام الهاري ، يقال منه : هجر فلان في كلامه بهجر هجراً ، إذا هددى ، ومدة الكلمة ، وما زلت بك هجيراء وأمهراء ، والثالث هجر السير ، إذا ربطه صاحبه بالهجر ، وهو هبل يربط في عقوبها ويرسها

قال حين خذفت بي أجيوك ، قال : أخبرني يحيى بن بشر سمع عكرمة يقول في قوله « وهجروهم » ضرباً غير مرجح قال - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وهجروهم إذا عصيتم في المعروف ، ضرب غير مرجح »

« قال أبو الحسن ملائكة علي بن سبيلا » يقول « فإن أمانك ملائكة عليها أمل »

وجه في تفسير الرمثري (١) لتوفي سنة ٣٥٨ هـ « شورها أو غشوها أن تصفى وجهاً ولا يطش به وأمه الارواح (في المدح) في اشارة إلى لا تدحوش تحت لطف ، وهو كناية عن الجماع وقد هو أن بولها ظهر في الصبح وقيل في الفاجع في يوتن التي يتن منها في لا تثيرتوس . وعمرى في الصبح والمصطحي وذلك يعرف أحوالهن وبضعة أمرهن في النشور أمر بوعظهن أولاً ثم معرائهن ثم بالضرب إن لم تنح فبش الوعد وأنهجرن وقيل معناه أكرهوهن على الجماع وأربطوهن من هجر البس إذا شدة بالهجر وهذا من تفسير التفلاء ولما لا يجب أن يكون ضرباً غير مرجح لا يجرهه ولا يكره ب غطف ويتجنب الوجه . وعن النبي صلى الله عليه وسلم « عني صوت حمى يراه هلك » وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنه - كت رابعة أربع شوة عند الزبير بن العوام ماذا غصب على إحداد ضربها سرد المشبه بكر عليها ويرى عن الزبير أبيت منها :

(١) تفسير أبي القاسم بن جرير بن محمد بن عمرو الحواري الزمخشري

« ولولا ينها حرمها لخطبتها »

(لما تنفوا عليهم سبيلا) فاذلوا عنهم الكرمين بالادي والفرينج والتجنى وثيوا عليهم واجعلوا ما كان منس كان لم يكن بمسد رجوعهم إلى الطاعة والاعتقاد وترك الفشوز

وجه في تفسير القرطبي (١) لتوفي سنة ٢٧٩ هـ

« السبعة قوله تعالى : (وهجروهم) في الشاهح) وقد ابن مسعود والحمي وغيرهما في الصبح ، على الإمراد ، كانه جس يؤدي على لبيح . والهجر في الشاهح هو أن يضاجعها ويوسها ظهوره ولا يجامعها ، عن ابن عباس وغيره . ولما مجاهد : حبسوا مملكتين فاستقصر على هذا الكلام جند ، ومنه « هجروهم » من الهجر وهو البعد ، يقال : هجره أي تباعد وبأى عنه . ولا يمكن بعده أن يترك مصاحبتها . وقال معاذ أبرايم البخمي والقسمي وقبادة والخص المصري ، روه ابن وهب وابن سباص عن مالك ، واختاره ابن العربي وقال - عسوا الأمر على الأكثر الموفى ويكون هذا القول كما تقول أهجره في الله . وهذا أمل ملاك .

قلت هذا قول حسن فين للزوج إذا أعرض عن فراشها من كانت محبة لزوج ، ذلك يشق عليها فترجع للصلاح ، وإن كانت ممتعة فيظهر النشور منها ، فيجب أن الفشوز من قبلها . وقيل : « أهجروهم » من أهجر وهو الفصح من الكلام . أي عطوا عليها في القول وسجروهم للجماع وغيره ، قال معاذ بن عيسى ، وروى عن ابن عباس . وقيل : أي شدوه وناقا في بسوتهم ، من قولهم : هجر البعير أي وبطه بالهدر ، وهو حصل يشد به للبعير وهو اختيار الطبري وقدح في سائر التحويل . وفي كلامه في هذا الموضع نظير . وقد روه عليه القاضي أبو بكر بن العربي من أحكامه فقال : يا لها من مودة من عالم بالقرآن والبنة الذي حمله على هذا التأويل حديث عريب رواه ابن وهب عن مالك أن أسماء بنت أبي بكر الصديق أتت الزبير بن العوام وكانت بهرج حتى غوتب في ذلك . قال : وعف

(١) السامح أحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي

نقله : « باخضة مينة يريد لا يدخلن من يكرهه أو وجهه » وليس
الوارد بذلك إلّا ، قبل ذلك محرم ويلزم عليه الحد - فقال عليه السلام :
« ضربوا النساء إذا عسكنكم في معروف ضرب غير مبرح » قال عطاء :
« قلت لابن عباس ما المبرح غير المبرح » قال : « بالسواك وضوء » وروى
ابن عمر رضي الله عنه ضرب امرأته فغزل في ذلك فقال : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يسأل الرجل لجم ضرب أهله »

والتلف: قوله تعالى: «فليس أظنكم» أي تركن القصور (فلا تنفوا عنهم سبلا) أي لا تمنوا عليهم مقبول أو فعل. وهذا من عن يميني مد: ررر لفعا، عيين، والتمكن من دهن، وقيل: يضي لا تكلموهن الصا لكم فبذنه ليس باليمين
وحاء: أي تبرأ السقي. (١) المتوفى سنة ٥٧١هـ:

(واستمرهم صربا غير مخرج أو نوعين أولا ثم بعد ذلك في
صالح ثم فطرب إذ لم يجمع بين النوعين وانحازان .. (في
أهلكم) يترك انفسور (علاصو عليهن سبلا) فآزيريو عنهن القموص
مؤذدي .. ومو عن بيت لأمر أي طلبه أي إن عبد أسديكم علي
قاعمو أن قهرته عليكم أعظم من قهرتكم عليهن فاحتبوا ظلمهن •
وإي لله أن علي كيرا) وإيكم تصوبه على علو شأنه وكوياء
مطانة ثم موبون فيوب عليكم • فافتهم أحسق بالمسو عن يجي عليكم
ب. رجم ..

(١) تقمير عبد الله بن أحمد بن محمد بن مصطفى : مدارك التنزيل وحقائق التنزيل ،

(٢١) تعبير الاسم عماد الدين أبي القداء، اسماعيل بن كثير بن رشيد الدمشقي -

« واهجروهن في المصالح » وقال علي بن أبي طلحة أيضا عن ابن عباس
بعضها بلن هي قبت وإلا هجرها في المصالح ولا يكلم من غير أن يرد
سكاتها وذلك عليها شديد . وقيل محاهد وانشعق إبراهيم ومحمد بن كعب
ويعقوب وقتله . . . أنهجر هو ألا يماجمها وقال أبو داود حدثنا موسى
بن أسامة عن حماد بن مسلمة عن علي بن زيد عن أبي مرة الرقائي
عن عمه عن أنس بن مالك عن أبيه وسلم قال : (قلن خفتم تشوزهن
ما هجروهن في المصالح) قال حماد يعني المصالح . وفي النسب والمسند عن
مسارية بن خديجة أنشعق أي قل : « رسول الله ما حق امرأة أمونا
عليه » قال : « أن تصعبها إذ طبعتم وتكفوه إذا اكتنعت ولا تصرب
لوجه ولا يهجر إلا في البدن » وقوله واهجروهن إذا لم يرتدعن ما لمعه
ولا يهجر ، فليكن أن تروهن ضرب غير مبرح كما ثبت في صحيح
مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حجة الوداع :
« واتقوا الله في النساء فهن عندكم عوان وبكم عليهن ألا يوطئن عرضكم
هذا تكرهه فإن فعلن فمريون غيرة غير مبرح وإن رزقن وجوهن
بالمعروف » . وكذا قال ابن عباس وغيره وحديثه غير مبرح قال
الحسن البصري يعني غير مؤثر . قال الثمالي هو ألا يكرهها عوا
ولا يؤثر شيئا . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يهجرها في المصالح
بين أقتب ولا عقد أدب لها أن يصربا ضرب غير مبرح ولا تكسر لها
عصا قلن قبت وإلا فقد أحل الله عهد الفدية وقال سليمان بن عبيدة عن
الزهري عن عبد الله بن عمرو عن إدريس بن عبد الله بن أبي ذؤيب قال :
« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تصربوا إماء الله » فجاء
عمر رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : زأرت
النساء على أزواجهن فرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في مريهن
بأطاف بال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهم نساء كثير يشكن أزواجهن
بقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « لقد أطاف بأ محمد بنه كثير
يشكن أزواجهن ليس أولئك بمبارك » روى أبو داود ، والنسائي ،
وابن ماجه وقال الإمام أحمد شديد سيمى بن داود يعني أب داود
الطائفي حدثنا ابن عوف عن داود الأزدي عن عبد الرحمن السلمي عن

الأخفش بن نيس قال : « ضمت عمر رضي الله عنه متناول إمرأته ففصرها
مقتل » . يا أنست اعطوني ثلاثا حفظن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
لا تسأل الرجل فم صرب إمرأته ولا تسم إلا على وير موسى الثلاثة وكذا
رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه عن حديث عبد الرحمن بن مهدي
عن أبي نوانة عن داود الأزدي . وقوله تعالى : « فإن أطعكم فلا تعموا
عليهن شيئا » أي إذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريد منكم فلا تعموا
أسخه الله له منها فلا سيب له عليها بعد ذلك وليس له صربها وهجرها
وقوله « إن الله كان عليم كبيرا » . محمد بن جرير إذا معا على بعضه
خير من الله الطي الكبير وهو مستقيم من طمأن ربي عليهن .
جاء في حشر الأنبياء (١) المصنف سنة ٦٧٠ هـ

« واهجروهن في المصالح » أي مواعظ لا مصالح . والمراد تركوهن
منفردات في مصالحيهن فلا تدخوهن تحت الحنف ولا تسروهن فيكون الكلام كناية
عن ترك جماعهن وإلى ذلك ذهب ابن خنير . وقد مراد هجروهن في شعرائ
من يولهن حيوكم فيه ، لا يلقوا إليهن . وروى ذلك عن ابن جعفر رضي
الله تعالى عنه وبك كناية أيضا عن ترك بعض وعياله . المصالح
لمبات أي اهجروا حمرهن ومطه مبيتين ، وقيل : في النسبية أي هجروهن
سب المصالح أي سب تطهن عن المصاحبة وفيه يشير كلام بن عباس
رضي الله تعالى عنه فيما خرجه . « من أبي سيرة من طريق بن النعمان ،
مسبحر . على هذا بالمط . قال عكرمة . سأ يعطونها القول . ورغم بعضهم
أن المعنى أكرهوهن على الجماع ويوسوهن من حمر لمبير في شدة حمره ،
وتنقله الرمضاني بأنه تفسير انتقاء ، وقال ابن أبي عمير . فصل هذا المفسر
بنائذ بقوله تعالى : (فإن أطعكم) فإنه يسأل عن تقديم إكرام في أمره ،
وقربه المصالح ترشد إلى أنه الجماع ، فطائفي الرمضاني في إطلاقه
في حق هذا المفسر من لا فراط انتهى . وأضرب هذا لو عوم على الرمضاني
لنظم قوله في ذلك ذلك مفسر ، ولعد تركه من التضييق ، وقري في المصالح
« واضيوي » يعني صربا غير مبرح . أخرجه ابن جرير عن جصاص عن

(١) تفسير أبي العباس شهاب الدين السيد محمود الألوسي « روح المعاني »

ومول الله صلى الله عليه وسلم ، وبسر غير المرح بالآل قطع لصا ولا بكر
عظما وعن ابن عباس أنه ضرب بالسواك ونحوه والذي يدل عليه السياق
والقرينة المتصلة أن هذه الأمور الثلاثة مترتبة بإذا حيف بشور لمراء
تفصح ، ثم تهجر ، ثم تلرب

إد بو عكس استعصى بالأشد من الأصعب ، وإلا فالواو لا تصح على
المعرب وكذا ألفاء « فظنوه » لا دلالة لها على أكثر من ترتب المضموع
بالقول بأنها أشير الأداة على ترتيب « بن نظام » وفي الكتب القريبة مستند
من دخول الواو على إجزائه مختلفة في لسانه ، أصعب مترتبة على أمر مدرج
فانصب الققص هو الدال على الترتيب

هذا وقد نسي بعض أصحابنا أن للزوج أن يضرب المرأة على أومع
خصال وما هو في معنى الأربع ترك الزينة والزوج يريد ما ، وترك الإحسان
إذا دعاها بمرأته ، وترك الصلاة - في رواية - والعسل ، الخروج من البيت
إلا بعد شرعي ، وقيل له أن يضربها متى أعصته ، من أسماء بنت أبي بكر
رضي الله عنها - كنت أربعة أربع سنة عند الربيع بن العوام رضي الله
عنه ، حتى غدا غضب علي وأخذته فتأضربها بعد الضرب حتى بكسه
عليها ، ولا يخفى أن تصل إلى النساء والمهر عديهن أفضل من ضربهن
إلا لدواع قوي ، فقد أخرج ابن ماجة والبيهقي عن أم كلثوم بنت العدي
رضي الله تعالى عنها قالت : « كل الرجال نهوا عن ضرب النساء ثم
شكروني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمخني بيضم وبني صريعين
ثم قال : « ولن يضرب حيواتكم »

جاء في تفسير لتسريح الجاوي (١) لتولي في القرن الثالث عشر
« وأما غيره من في المضجع » أي حرمه على وجوعكم في المراتد فلا يحضوه
نعت اللص إلى علمهم التلويح وأمثلة النصيحة « واضحة » أي « لا
تم يجمع تهجر ضرب غير مخرج ولا نساء والأول ترك للرب ، فإن در
هالويج أن تكون الضرب بحيث لا يكون مقصد إلى الهلاك ، بأن يكون موقفا

في النسي ، وبلا يكون في موسم واحد والا يوالي به وإن يتكرر الوجه
وإن يكون متعديا

وجاء في تفسير الأستاذ الاعلم المتوفى سنة ١٣٦٣ هـ (١) في مشروعيه
ضرب لسانه لصف بالامر المستفكر في العقل أو القطر فاحتاج إلى التأويل ،
مما أمر يحتاج إليه في حال قلل أبعده وغلبه الأخلاق بسده وإما
يساح يد رأى رجل أن جوع لمائة عن سوره موقف عنه ، وإد صلح
العيشة من حشر لصحته وسحب للوعي ، أو يردح من سحر
الآلة على العرب ، من حال ختم بها في شرع ، وبشر « صوره » على
كل حال بالحق بسده ، وتحت ظلمين ، وأصابتهم سمروف ، حريصين
بعض ، وأد « في آية » باللسان جرد جدا

أقرب ، ومن هـ « لأه » ما هو في تسريح ضرب والسفر عنه ، ومنها
حديث عبد الله بن ماجة في المصنف قال : « قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « ضرب أحدكم مرأته ، كما يضرب بعد ثم يخدمها في آخر
الليل » وفي رواية « أشبهه عن عبد الله بن ماجة » أما يصحح أحدهما
أمراته كما يضرب أحد ، يضربون النساء ثم يخدمهم « ثم يذكر
الرجل بأنه إذا كان يعلم من نفسه أن لا يجد به من ذلك الاجتماع والاتصال
انقاص « أمرته » وهو أقوى وأحكم اجتماع يكون بين اثنين من بشر ، ينضد
أحدهما بالآخر اتحادا تاما فيشرب منهما بأن حلقته بالآخر موى من صفة
بعض أعضائه ببعض ، إذا كان لا بد من هذه الصلة والوحدة التي تقتضيها
لفطره ، فكيف يليق به أن يجمل أمراته ، وهي كنفه ، بمئة كملته
عده ، « يضرب سوطه أو بده ، حقا إلى الرجل الحي الكريم يتحاى
به طمعه عن مثل هذا » الحياء ، ويأمر عليه أن يطلب من الاقتصاد من
أمر له بمرله الإماء ، « الحديث أبلغ ما يمكن أن يقال في تسريح ضرب النساء ،
وأكثر أمي هويت إلى مساء العاللي قتل أن أطلع على نفسه شريف ، مكنت
قلما سمعت أن خلاصت « أمراة أقول يا نساء العجب ، كيف يتطعم الناس

« والنساء على قسمين : صالحات مطيعات لله قاتعات بعقول الأزواج ،
وعاصيات نافذات لا يعطن أزواجهن .. بالمعنى الأول لمرء معلوم . أما الفريق
الثاني فليستوا برعته فإن لم ينجح الوعد فاهجروهن في المساجع ولا يبيتوا
معهن ليلتين ، فإن لم يبتن فامسوهن ضرباً غير مبرح ، وإياكم ومخالفة هذا
الترتيب فالوعظ يتلوه المهر ، والجر يتلوه الضرب ، فمن أطاعت رامت
فانصوا فنها ولا تذكروه الفتنة لأن الله فوقكم كما أنكم فوق النساء
مقايلاً وقرة . فإن ثين من الذنب فلا تمسحوا به لكم من القدوة عليهن ،
والله أشد عليكم من حذرتكم عليهن . وإن خفتن مخالفاً بينهما فابئوا رجلين
يمسحان للحكومة أحدهما من أهله والأخر من أهلها وما أدري بأحوالهما
ليوفقا بينهما ، فهذا قوله تعالى : « لو حال فواهون على النساء » فهم
كالولاة . والنساء كالرعية « بما فعل الله بحسبهم على بعض » سبب بطليله
الرجاء على النساء بما هو معلوم مما تشعرون ، وما انفقوا من أموالهم ،
كالمرء وثيقة ، وهن قسمان : طيعات . وعاصيات « عاصيات نافذات
مطيعات لله » حافظات الغيب ، يحفظن في غيبة أزواجهن ما يجب أن يحفظ
في الغيب والحال : « بما حفظ الله » أي بسبب حفظ الله لهن حيث حثن
ورغبهن بالوعد وأذرن رغوبهن بالتهديد روقهن لحفظ أسرهن الزوج واللفة
ومراعاة ما يجب عليهن مراعاته في غيبته من أعراسهن وأحوال الأزواج ، لغته
عليه نصلاً والسلام : « هر النساء براءة إن نظرت إليهما سرك ، وإن
أمرتهن أطلعك ، وإن غبت عليهما حفظك في مالهما ونفسهما » وثلا الآية .
لأنما التمس للثاني ومن العاصيات ، فقال لهن : « والثاني تشاغرون نشوزهن ،
أي عسيتن وترفعن عن مطاعة الأزواج فمطوحن واهجروهن في المساجع ..
« وامسوهن ضرباً غير مبرح » بالعبارة « بالعبارة » ، على
الشك من الذنب كمن لا ذنب له ، « إن الله كثر علياً كبيراً » ، ومعناه
المستحق حمد تسميها هذا ، ونوله « وإن خفتن مخالفاً بينهما » أي مخالفاً
بين المرأة وزوجها وإضافة الشكلا إلى البيت على مدح هولم : مصر : سالم .
وليه نائم والحكم الوسط الذي يصلح للحكومة والإصلاح وكوّن الحكمين من
أهله وأهلها أفضل ، ولا يمنع أن يكون من الأجانب ، وإرسال الحكمين من قبل
الحكمة أو من قبل الزوجين أو من قبل عاين الأمة ، وللمحكمين أن يجرى الطلع

بلا إذن من الزوجين إن رأيا الإصلاح فيه عند مالك ، وعند غيره لا يليان
جمعا ولا تفريقاً إلا بإذن الزوجين
وأعلم أن لإرادة الحكمين محلاً في تحقيق الصلح كما قل : « إن يريد
إصلاحاً يوفى الله بينهما أن يرد الشكمان إصلاحاً يوفق الله بين الزوجين ،
أو بين الحكمين في إتمام الصلح . وليس للحاكم أن يثبت حدلين ويصلهما
حكمين عند الشائس . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أنه جاء
رجل وامرأة ومع كل واحد منهما فتنة من الناس ، فقال لعلهم شأن حزين ؟
قالوا وقع بينهما شقاق ، قال علي : « فمستوا حكماً من أهله وحكما من أهلها »
ثم قال للحكمين : « تدوين ما عليكما إن رأيتما أن تجمعا جمعتما ، وإن رأيتهما
أن تفرقا ففرقتهما .. » الخ ..
فأعجب للمصلح في حصر التمام . وكثير من بلاد الإسلام كيف غفلوا
عن بيت الحكمين .

تعقيب

تسلما - في الشرق - قضية المرأة حيث انتهت في الغرب بعد تاريخ طويل
يخالف طريقها في مطلقه ونيلته ، كما يخالفه في مجراه

تاريخ هذه القضية في الغرب منذ بدأ من جبهة الوشيعة ،
وخرافة القرون الوسطى ، ومطرد الدين والنسوة في القرون المتأخرة ، وليس
بأحدهما ولا أسلحا معركة الضال على حرية الفكر وحرية الاقتضاب .

وظفرت المرأة الغربية بيمس الرعاية منذ القرن التاسع عشر ، وكانت
من تيسر تلك الرعاية التي سميتها بضرورة الاجراءات أو حصول الادارة
الحكومية : شأن المرأة في ذلك شأن المطالبين بالحرية الديمقراطية اجمعين ،
إنما ظفروا بها بعد عصر الصناعة على الخصوص ، لأنهم تولوا إليها
باستغلال حاجة المجتمع إليهم في المصانع ومراكز المدن الاقتصادية ، ولم يظفروا
بها حقا « إنسانيا » ملائما للإنسان حيث كان ، لأنه المخلوق المعاكس
المسؤول بين يدي الله

والمرأة الغربية لم تنظر بتلك الرعاية لأنها حتى تملك المرأة في كل
بيئة ، بل كان ظفرها بها ثمره الزراع طويل على الحقوق المضمومة .
شاركت هيبة المتنازعين طرفا آخر كما يشكك المتنازعون في قضايا القسطن
حق الرعية مع الراعي ، حق الزارع مع صاحب الأرض ، حق العامل
مع صاحب المثل ، حق الفكر مع وجد الدين ، حق الأحرار المجهدين مع
المحافظين الجامدين ، بل حق الأبناء مع الآباء . وحق انجيل الناس مع
الجيل القديم .

هذه المرأة ليست باراة المنفعة ولا بالمرأة الثرية ، في ماضيها وفي
حاضرها ، ولا في مستقبلها

تلك امرأة تجرى بها القادير إلى نهايتها

أما نحن في الشرق فالمرأة لها قضيتها الشامة غير تلك القضية تصبغة
ناطقة لأنها لا تنس المرأة في ذاتها بمواطنها وأخلاقيها ، ولا تنسى المرأة
ومن جنس يصابه الجنس الآخر بشكوكه واستعداده ، ولا تنسى المرأة

بوظيفتها في الأسرة ، ولا بوظيفتها في الحياة العامة كلما دعيتا للمشاركة فيها ..

وهذه المرأة بحقوقها وواجباتها منذ أدركتها شريعة الإسلام لا تتعفى حقاً ولا تكتفى واجباً من مطلب الفتنة الشهامة ولا من برائن المنع الشحيح ، وإنما هي حاجة هذه العترة وهذه الواجبات لأتباعها من خلق الله ، على تقاسم المساواة العادلة بين الحقوق والواجبات

ولقد يسوغ في شريعة العقل وشرعة الفطن أن يتشزع أصحاب الحقوق جميعاً إلا الحق الذي ينتزعه النساء والرجال فإنهما جنان لا يفعلان ولا يخلق أحدهما إلا وهو سطر وله بقية ، ولا سبيل إلى انفرداد بينهما في تركيب الطبيعة ولا في وظيفة النوع . فإذا انفردا في تكاليف المجتمع تلك علامة الظل والانحراف ، لا حاجة بعدها إلى علامة من أقاويل ادعاء أو إزدياء

ملك العدل والمصلحة بين الجنسين أن تجسرى الحياة بينا في الأمة على سنة التماثل والتقسيم لا على سنة التشقق والتفاضل بالحب والمثوق ..

وليس الخلاف بينهما بخلاف الذي يفتض بالصراع على كفاية واحدة يدعيها كلاهما في مقام الخصومة ، ولكنه خلاف على كفايتين بينهما أصلح ذلك ، وإن صلح كلاهما لكفاية الآخر في كثير من الأحيان

فلا جدال في استطاعة الرجل أن يعط ما تعمل المرأة من تكاليف البيت والأمر ، ولكنه لا يقضى عليه من أجل ذلك أن يدع الحياة العامة ، ليحل في البيت حيث حطت المرأة من قديم الزمن . ولا جدال في استطاعة المرأة أن تشارك الرجل في الحياة العامة ، ولكنها لا تتخل عن البيت من أجل ذلك التراحم على جميع أعماله ، مما يستتبعه على النساء

وإذا قص اختلاف الجنسين أن يكون لكل منهما الذي مير إليه له وأقدر عليه ، فلجدال في ذلك معاد ذائب في الهواء

لعم لا جدال في الوظيفة المثلى التي تستقل بها المرأة ، وهي حماية البيت في ظل الكفة الروحية من جهاد الحياة ، وحضانة الجيل المقبل لإعداد بالتربية المألحة تلك الجملة

وليس هذه الصفة بأمر الحسنة : ليس تدبير الكفة في الحياة بأمر من تدبير الجهاد ، وليس العمل الصالح لمصلحة الفرد بأمر من العمل الصالح لمصلحة اليوم

وإن الحياة العامة لتعترف عن سرائرها فيصرف البيت عن سوائه ، وتعجز المرأة والرجل مما صا يستطيمان في الأسرة وفي المجتمع ، فلا ينس على ذلك ولا ينس عليه ، ولا يجوز - مع ذلك - أن تيمم المرأة وحدها بجريه الظل والانحراف ، ليحل بينهما وبين العمل الصالح الذي تلجئها الضرورة إليه

إن الشريعة لمصنفه هي الشريعة التي خصص حساب المثلثين ، وتشريع الحد المثلى ولا يسوتها أن تصرع لحظة لقصر والاضرار ، فلا تمنع شيئاً يوجب نقص المجتمع ، حتى يتبها له حظه من الكمال

وفي شريعة التوازن الكريم حساب لكل أولئك في قضية المرأة . نبيها حد السينة التي ترتضيها المرأة باختيارها ، وفيها حساب المصلحة التي نساق إليها على كره منها ، فلها في هذه الحالة كل ما للرجل وعليها كل - عليه ..

والمجتمع الإسلامي لم يبلغ بعد غايته من الحياة المثلى باختيار الجنسين ، وقد يولد الأمد قبل أن يبلغ إلى تلك الغاية ، ولكنه يتعد عنها ولا يقترب مما إذا تقدم البقاء على الفناء . وعمل لدوامه وتمكنه ، والزودة عليه من ذلك وانحرافه ، ولا يتاح له أن يقترب منه خطوة واحدة على سنة الصراع بين رجلاه ونسائه ، فإنها غاية الجنسين مما يتعاونان عليها ويتقاسمان المؤنة والجهد في أسمى إليها ، ويدركانها لا معاملة بعد حين ..

ولربما مثلنا الطريق فركب كل من الجنسين رأسه في اللجاجة والنساء : حق وجنك ، وكفايتي وكفايتك ، وسلاحك وسلاحك ، وانتصرت وهزمت ، على أحد الذي سقنا إليه الغرب القديم والمديث غير معصود على سبقه

ولكن الأمر الذي نحن منه على قنم اليقين أن ضلالتنا عن الطريق
سيرتنا مائتين أو كثر من إلى سركنا ، وأن عواقب الأخطاء سوف تصدنا
عنها وتضيفنا من وبالها ، ثم ستفقد شروبه وأطوارها ، فلا نجعلها ولا تبني
منها بقية تسخرها وتطير أن يلجج في ضلالتك أن يولد فيها ..
وإن يكن لهذا القلم غير أريد به سيأتي الأولون القصور الذي
تسمع فيه المطالبات بحقوق المرأة مطالبات بحق جديد تستحقه بكل
جهد جيد .. ولكنه في هذه المرة حقها الخلد الذي لا يتزعزع فيه
منزوح : حق الأمومة والابتوة ، لا حق الرجولة المدعاة ، ولا حق
السياق إلى هياطين الصراع ، وسلام يومك في العالم الصغير - عالم البيت
والأخرة - وسلام في العالم الكبير.

فهرس

الصفحة	
٣	مقدمة الكتاب
٥	الفصل الأول : لرجال عظم دوجة
١٣	الفصل الثاني : من الأملق
١٧	الفصل الثالث : هذه الشجرة
٢٧	الفصل الرابع : الأملق الإجماعية
٤٧	الفصل الخامس : مكانة المرأة
٥٧	الفصل السادس : الحجاب
٦٣	الفصل السابع : حقوق المرأة
٧١	الفصل الثامن : أزواج
٨٣	الفصل التاسع : زواج النسي
٩١	الفصل العاشر : الطلاق
١٠١	الفصل الحادي عشر : الراوى والإماء
١٠٧	الفصل الثاني عشر : المعاملة
١١٧	الفصل الثالث عشر : مشكلات البيت
١٢٣	الفصل الرابع عشر : القرآن والزمن
١٣٩	خاتمة